الإنسان:
تحرر أم تفكك

عماد علي حمد

دار النهى
للنشر والترجمة والتوزيع

العنوان: الإنسان: تحرر أم تفكك . – المؤلف: عماد علي حمد . – الناشر: دار النهى للنشر والترجمة والتوزيع . – الطبعة الأولى . – الجزائر: عنابة، مارس 2024 .– ردمك 978-9931-253-44-0 .– الإيداع القانوني : السداسي الأول / المكتبة الوطنية الجزائرية ، مصلحة الإيداع القانوني .– الواصفات: الذاتية ، الفردية ، الوعي، المادية.

الاخراج الفني: حسيني عائشة

المقر الاجتماعي للدار : 1950 مسكن الكاليثوسة عمارة س مدخل 08، محل رقم 40 – بلدية برحال ، عنابة .

رقم الهاتف 0782035399/0675783716

Email: maisonnoha@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناشر .

All right reserved. No part of this book may be re-produced

stored in a retrieval system. or transmitted in any form or by any means without prior written permis-sion of the publisher.

عماد علي حمد

الإنسان
تفكك أم تحرر

دار النهضة
للنشر والترجمة والتوزيع

۞ إهداء ۞

أدينّ للياليّ حالكة الظلمة بكلّ شيء سوداوي جميلّ، لجّة التعة تغزوا الوجودّ، من يريّ الحقيقة يُسلمّ بأنّ الأخطاء حكمة إلهية، أبيّ أو فلذة كبديّ (سيدّ عليّ) يا من خُتمّ على قلبيّ رثائهُ، ألمّ البعدّ أشدّ من إلمّ الفقدّ، ففيّ الذكريات نجدّ للعتابّ أزيزّ مُرهقّ، الثناء لتلك الروح العظيمة أمي حفظها الله، والرثاء ليّ أنا.

إلى روح العظيمة أبي رحمه الله.

(علي محمد خلف، أو كما يجب أن يقال عنهُ سيد علي).

إلى أمي الغالية حفظها الله.

(خلفه ابراهيم عوض).

إلى روح جدي رحمه الله.

(الحاج ابراهيم العوض).

إلى روح جدتي الغالية رحمها الله.

(الحاجة غبنه محمد عواد).

هوَ رثاء ليّ أنا قبلّ أنّ يكُنّ اهداء...

مقدمة

بينّ الحقيقة والخيالّ هنالكّ كائنّ يقبعّ في غياهبّ المجتمع باحثّ عن المعنى، الفعلّ نتاجّ للواقعّ وسابقّ فيّ وجود المجتمع وتكوينهُ، صراعّ التمدنّ والفردّ هوَ صراعّ كامنّ في جدلية الموروث القبلي الفكري والإنساني المادي، إيلاجّ المعرفة ترسيمّ للجهلّ وتأطير فكرة زوالّ الإنسان وتفكيكهُ، الحقيقة تتطلبّ قوة وسطوة فكرية مادية وإرادة روحية تدفع الإنسان لإظهارها إلى العلن، ما تقرأه هوَ واقعّ وجودي غيرّ مجتزئ، رهابّ الأفكار يغزوا العقول، الثواب والعقاب تأّصيل لوجود عالم سوداوي المعانِ.

الدين يتمثلّ فيّ الإيمان الكامنّ في الاعتقاد، فإنّ وجدّ اعتقاد دونّ عملّ فسدّ الإيمان، كأنّ تخافّ الأفراد والمجتمعّ ولا تخشى سخطّ الله منكَّ، تأرجح الذاتية الإنسانية بين مفهومها الأصولي الوجودي في العالم مع الصدام المادي الفكري العنيف في كينونة المجتمع، يؤدلج إنسان غيرّ سوي الفكرّ والاعتقاد، ما تعتقدهُ لا تراهُ وما تراه لا تعتقدهُ، فلسفة أصلتّ نشأة الإنسان ووجوده الحتميّ في عالم هلامي مادي(إنساني).

من يعبدّ الله بالعقل لنّ يدركّ قدرة الله في الوجود، البعضّ يرغب في رؤية الله (سبحانهُ وتعالى) لإثبات حقيقة وجود الله والاعتراف فيّ وجودهُ وهوَ غير قادر على معرفة ماهيتهُ، فمن لا يعرف نفسهُ لا يمكنّ أن يعرف الله.

الجزء الأول:

الذاتية

(تأرجح بين القمة والقاع)

رحلة الفردّ؛ تبدأ منذ ولادتهُ لترسيم رؤية ذاتية حقيقية للواقع والخيال المتجزئ فيّ الوجود الحتميّ، أفكار تسربتّ إلى اللاوعي منذّ ولادة الفرد وأفكار أخرى تأدلجة من البيئة التي عاشّ فيهاّ، تأثيرات عينية تجريبية حقيقية ظهرتّ في التصرفات السيكولوجية للفردّ، أصلتّ الانغماس المؤطر في غياهبّ النفس البشرية، أفكار أولجتّ صبغة موضوعية لوعيّ ظاهرّ أو كامنّ حددّ آلية اكتساب الوعيّ وكيفية توزيع الأفكار وانتسابها في دهاليز المجتمع.

الفصل الأول:
ولادة الفرد

الحق في عمقّ الفكر الظلامي انتحار مزيف للأفكار التي ترفض الواقع وتنطلق في اجتزاء أفكار أخرى لا تمُتّ للوجود بشيء سوى أن ما حدث سيحدث وما سيحدث فقد حدث، فرد يولد في العراق وآخر يولد في الولايات المتحدة، إمكانية تحديد وجودهُ معضلة كبرى للعلم الإنساني الذي يعاني من قصور ووهن في تقبل الحقائق التي تتمثل في عدم إمكانية الفرد من تقبل تلكّ الحقيقية.

الوجود سمة سابقة في الأزل؛ يولد الفرد في داخل بيئة معينة، تجسد نتاج لكينونة وجوده، تأصيل الارتباط بين الفرد والعائلة هوَ تأصيل سابق في العلم السابق الغير مدركّ (العلم الالهي) للفرد نفسه، جنين لا يؤمن بأي معتقد أو رؤية (مادية)، العناية الإلهية أولجّت إنسان سويّ الفكرّ غير قابل للتجزئة.

يشرق النور لأول مره يحتلّ الفردّ الناشئ في داخلّ المنزل الذي يعيشّ فيه، في صباح اليوم التالي يدشن مرحلة فكرية وبداية تشكيل الوعي والمعرفة للفرد داخل المحيط الذي يعيش فيه، حيث أنه يبدأ بالتعرف على العائلة عندما ينطق كلمتهُ الأولى كأنّ يقول (أبي) أو (أمي) أو (أختي) أو (أخي) ...الخ، تبعًا للوجوه التي آلف رؤيتها، هوَ التعرف الأول لكل ما هوَ حوله، ومن ثم يألف الأشخاص من حوله، روافدّ الماهية القابعة فيّ الذات الإنسانية تعملّ على توجيهّ الفردّ تجاه الأفكار.

تنشأ الأفكار عرضيًا ومن ثم يألفها الفرد تدريجيًا إلى أن يصل به الأمر أن يصدق أي فكرة ينطق بها أحدهم من دون أي اعتراض، فإن كان الأب مسيحي فقد وجد في (يسوع) ملاذّ أمنّ بغضّ النظر عما كان عليه الفكر المسيحي من أخطا، تجدهُ شديد الدفاع والتعمق في محاربة الأفكار التي ولد علها، فما لبثّ إلا أن أصبح عاشقًا للفكر والشريعة التي ولد فيها، الحبّ هوَ ما يحددّ الفردّ ووجودهُ وليسّ الفكر؛ لكنّ قد يكونّ الحبّ نتاجا للفكر؟ عندما تحُب والدتكّ سوفّ تصغيّ لكلّ كلمة تقولها وتؤمن فيها بطريقة أو بأخرى كأنّ تقولّ كلامّ ينبعّ عنّ المحبة تجاه شخصّ معين يؤدلج قبولّ لهذا الفردّ في اللاوعي الفردي للشخصّ

الآخر، تأثيرات نمطية نابعة عن أدلجة الذات المادية للإنسان في التعاطي للأفكار الناجمة عن الوعي.

الغذاء الروحي للفرد يتأصلّ فيّ الحب والوجوم والبغض، مثلما هنالكّ غذاء مادي يساعدّ الإنسان في تسيير أعمالهُ يمنحّ الطاقة والقدرة لإتمام الأعمال المناطّ بها، محاولة تجاوز الألم لا يمكنّ للإنسان إلا من خلال تخلصهُ من كُل الأشياء الدافعة فيّه نحو الرذيلة، لجّة فكرية تنشأ بعد صراع مرير مع الذات، تتمثلّ في انسلاخ الإنسان من ذاتهُ، وهوَ أعنف وأعمق ما يحدث للمرء في وجوده خاصةً إن رفضّ فكرة الأب ليست بالأمر اليسير حدوثها.

اللاوعي يؤثر سلبًا على التفكير لدى الفرد، إذ تحارب المشاعر قرارات الفرد بين الحين والآخر، فيغدوا مسيرّ نحو فكرة معينه، يجهلها ولا يستطيع رفضها، فالإنسان عند ولادتهِ كائن يؤدلج لتقبل كُل الحقائق من حولهُ دون رفض أو اعتراض على تلكّ الأفكار مهما كان شكلها أو ما هيَ النتائج التي قد تؤدي إليها، ومن ثم؛ ينطلق الفرد في تقصي الأحداث من خلال الاستشعار بها.

التقاليد، مجموعة من السننّ التي وضعها مجموعة من الأفراد أو فرد واحد، يتقمصها الأفراد ويمتثلون لطاعتها بأقصى درجة ممكنه، بالرغم من أنها ترفض الوجود المادي لهُ وتخلق تهميش للقيم والأفكار الدينية التي يتقمصها في أي وقت مهما.

الحقيقة ليست ثابتة، يولد الإنسان ويعتقد في الكثير من الأحيان أن الأشياء التي حولهُ هيَ ثوابت، لكن مع مرور الوقت يكتشف أنهُ يعيش في وسط وهمّ لا يرتبط في الواقع بأي شيء.

وهمّ الحقائق، الصدمة الكبرى التي يتلقاها الانسان في وجوده، تتمثلّ في الاختلاط مع الثقافات أو الشرائع الأخرى، ليجد أن العالم بما هوَ نسبتهُ (70%) يعتنق نفس المفاهيم، كفكرة جوهرية، ولا يختلف إلا في المضامين التي تنقل الفرد من مكان إلى آخر ومن رؤية

إلى أخرى، تجتزئ من الوعي جزء كبير، يؤثر طرديًا في الفكر الكامن في كينونة الوعي، الأصول ثوابت والعالم لهُ خالق واحد، إلا أن التسميات والأفكار التي ينطلق منها كلّ شخص لا تعدوا إلا أن تكون روافد للفكر الإنساني(المادي).

تساعد العائلة الفرد على اكتشاف العالم، إذ تقوم بإظهار المفاهيم على غير حقيقتها، فما تخشاهُ عائلتك تجعلّ منهُ خطر كبير قد يداهمك في أي وقت، وما عليكَّ سوى أن تتخطاهُ، تغذية الأفكار العكسية هيَ نسيق جمعيّ بين الوعي الجمعي لرب الأسرة والفرد، ومن هنا استساغت البشرية مخاوفها، فما يخافهُ والديكّ يجب أن تخافهُ مع مرور الوقت.

التحرر من تلكّ القيود راحة عارمة وخوف عظيم؛ فأنتّ تجهلّ ما كان يخشاهّ أفراد الأسرة (الفكر المادي أو المعتقد)، العقلانية تعدّ تشريع مسبق لفهم الأحداث، فعندما تفهم ما تخشاه عائلتك سوف يكون أمامك خيارين لا ثالث لهما، هوَ أما أن تكره عائلتك حد الجنون أو تتقبل الاختلاف بكلّ ما هوَ جدلي، فإن الأول هوَ نزوع للاوعي يدفع بكّ أن تكون نسخه أخرى لفرد أخر، فلا يمكنّ أن تخرج من الدائرة التي رسمتها لكّ بمحضّ تجاوزك تلكّ الحدود، فما يؤمن بهِ الأفراد ليس بالضرورة أن تؤمن فيه بنفس الطريقة التي يؤمنون بها.

الانغماس في الذات يولد التحرر، إلا أن التحرر لا يدشن ذات جديدة، فإن الذات الأولى هيَ ساكنه في الوعي، فلا مهربّ منها بأي شكل من الأشكال، إذ يجب أن يتصالح الفرد مع ذاته ومن ثم يشرع في تغليب المفاهيم الجديدة على القديمة التي تم طمثّها.

الاعتياد على الأحداث وإمكانية حدوثها قصور كامنّ في الوعي البشري، فالفرد يركنّ دائمًا إلى تخيلّ أشياء غير موجودة، الوهم هو بعد زمكانيّ للفرد في عالمهُ، قد يرى في بعض المباني جزءً من وهُن حقيقيّ وهوَ في الأصل لا يجد أي شيء يربطهُ بالذات، إنما الذاكرة التاريخية تعيدهُ إليها بهدف التخطي أو تجاوز بعضّ الأزمات التي سكنت في داخل الفرد نفسه لمجاراة بعض الاحداث.

مثلًا، شرب كوب من الشاي في كُل صباح أو تناول الطعام في الهواء الطلق أو الذهاب إلى أماكن آلفت الذهاب إليها، هيَّ عادات تعودت على القيام بها، فما بين الاعتياد والاعتقاد هنالكّ شرخّ كبير في روح الفرد، فقد لا يميز بين كلًا ما يؤمن فيه أو يتعقد بهِ، إن التخلص من العادات السيئة مثلّ (قضمّ الأظافر أو جزّ شعر الرأس) لا تقلّ أهمية في نبذ الأفكار الهادمة الرامية إلى سلخّ البشرية من المفاهيم الإنسانية.

والخطوة الأولى للتخلص من الأوهام التي يعيشها الفرد ويعدها ركائز رافده للفكر المادي الذي ينطلق منهُ هوَ الرفض المسبق للقيم المغلوطة التي اكتسبها مع مرور الوقت، بعد أنّ أضحت مفاهيم متضادة في المعنى والمضمون.

عندما يكون قول رئيس القبيلة (شيخ العشيرة) أو جزء تفصيلي يتمثلّ في السلوك الفردي المحدد في إطار فكر إنساني مقدمّ على قول الله والرسول (رؤية إسلامية) هوَ بمثابة خيانة لله والرسول، العجب العجاب أن يؤخذ بكلام شخص مات منذ (100 عام أو 500 عام) ويترك كلام قالّ بهِ الله والرسول، ويقف بالضد من المفاهيم الدينية، وإن كان القياس ما بين المفاهيم الدينية والقبلية هيَ ليست من باب قياسّ عاطفي إنما تخضع للدليل المتواتر في الواقع الإنساني.

يؤمن الفرد في العادات ويرى أن التخلي عنها شرّ مطلق، تتمثل في انزواء النفس نحو التفضيلات الجزئية للرؤية المعنوية تجاه الأحداث، فإن الاختلاف هوَ ليس اختلاف جوهري، يركنّ في داخله على نصوص ظاهرية، تتجسد في تغليب الأنا (الفردي) على الرؤية الحقيقية.

الذنب في ذلك ينقسم إلى قسمين، هما:

الأول: العائلة التي أوردت مفاهيم خاطئة في الذاكرة التأريخية للفرد الناشئ في أي مجتمع كان (إسلامي أو غير إسلامي) تجاه أي موضوع مادي أو معنوي.

الثاني: الفرد نفسه، لأن الإنسان يولد باحثّ عن الحقيقة المجردة من غير أي زيف أو تضليل أو تحريف، وإن كانت تلكّ الحقيقة لا تلبي الرغبات التي يؤمن بها الفرد نفسه، حيث أن الهدم ضرورة قصوى، وإلا أن يكون تابع ومتبوع لأوهام ليس لها في الواقع شيء.

كينونة العادات هيّ في جوهرها تقاليد ذات أطر محدودة، تساعد على تشكيل وعيّ فردي ذو أبعاد معينة، وهيَ نتاج ما تؤمن فيه العائلة، إذ تحدد العائلة تلكّ القيم وتقذفها في روحه، فما إن حاول أن يتمرد عليها يجد صدّ كبير ومعوقات جمة تمنعهُ من الخروج عن تلكّ المسلمات التي تصبح مع مرور الأيام مقدسة يحرم تجاوزها، فإن انتخاب سياسي معين تابع لقبيلة ما يحتم على الفرد أن يساعد ذلك المرشح (أي المشاركّ في العملية الانتخابية) على الفوز، بغض النظر عما كانّ هوَ عليه هذا الفرد(المرشح) من صلاح أو فساد(مثلًا).

إذ تحرمّ القبلية الخروج عن سطوتها وإن كانت تخالف الرؤية الدينية في مسألة القصاص أو دفع الدية أو الزواج أو الصلح الاجتماعي(مثلًا)، فإن أغلب ما تنطلق منهُ القوانين القبلية هيّ تجسيد مسبق للأنا الإنساني الساعي إلى تحقيق مطامح شخصية، تدعوا إلى وحدة العضوية القبلية وإن رفضت الرؤية الدينية.

العصبية القبلية، أشد خطورة على الفرد من العصبية الدينية، حيث أن هذه الأخيرة ممكن معالجته من خلال الدليل المادي أو المعنوي في خضمّ النقاش، فيما أن الأولى وهيَ العصبية القبلية لا يمكن تخطيها، لأنها تستهدف بيئة الفرد، فإن البيئة اليوم في أي مجتمع من المجتمعات وإن كانت متحضرة وتدعوا إلى ذلك فإن الركون إليها ضرورة حتمية، ويسأل السائل أين ممكن أن توجد مثل تلكّ الأحداث، وهلّ هيّ فقط تختص في المجتمعات العربية؟.

يلاحظ أن المجتمعات الأمريكية لا زالت تتفاخر في نسبها إلى الهنود الحمر (السكان الأصلين) وتمسكهم وفي تلكّ العادات التاريخية

المادية (رعي البقر الأمريكي) أكثر مما تؤمن فيّه من الرؤية المسيحية (البروتستانتية مثلًا).

المعرفة هيَ أخطر ما يواجه الإنسان ومعتقداته الخاطئة، عملية استئصال الأفكار الهادمة تتطلب جهد جهيد، خطيئة الإنسان الأولى تتمثل في عدم تقبلّ الواقع الذي يعيش فيه، حيث تجد الفرد متأرجح الافكار ما بين رؤى عقلانية منطقية تقف بالضد من قيم غير منطقية وغير عقلانية سائد في وسط الجموع.

هدم الأفكار، هيّ من أكثر المسائل التي تستنزف الفرد والمجتمع في آن واحد، ولادة جديدة لقيم ومفاهيم جديدة ذات أطر وأبعاد مادية مؤد لجة لتحقيق السمو الإنساني، تأطير القياس ذو أبعاد حدية، البعد الأول، تجسيد لماهية الفرد الوجودية. إلا أن الوجود يُشكل معضلة في تقدم الماهية أما البعد الثاني عقلانية الفكرّ ويلاجها في نواة المجتمع.

رفض الأفكار إنّ كانت حقيقية أو غير حقيقية (في مضمون الفكرة) تحققّ تشبع للفرد نفسه، خطورة تلكّ الأفكار تتجسد في أنها لا تتضارب في داخل ذهن الفرد بعد التشبع، إلا أن استكمال تلكّ العملية تتطلب الاستمرار في التعاطي ما بين الفرد والبيئة المحيطة، عندما يحدث أي صدام بين الأفكار القديمة التي انغمس فيها الفرد والمجتمع وأولجة أفكار جديدة أشد عنفًا يؤدي ذلك إلى اختلال في القيم الإنسانية التي نشأ عليها الفرد في بيئته التي يعيشّ فيها، السؤال الأهم «كيف للإنسان أن يكون متدين من دون علم؛ إنَّ كانتّ معرفة الله تتطلب التخلص من بذور الجهل.»

سلوك حيوانيّ مثيرّ للدهشة فعندما يشعرّ الحيوان بالجوع فإنهُ يغدوا خطر جدًا مهدد لحياة كُل شيء يصادفهُ، وهذا السلوك مرتبط في الحيوان نفسهُ من منطلقات فكر متجذر في ذهن الحيوان (غير المدرك)، بعد الاشباع يتخلى الحيوان عن كلّ المغريات المتاحة لهُ، هذا التخلي ناجمّ عن انعدام الرغبة المرتبط بالشبع (النفسي)، قبل الشبع (المادي).

التقليد السائد في الفكر الإنساني عدم كسرّ الإطار الفكريّ للعائلة، قدسية الفكر للأواصر والروابط الأخلاقية التي استدمها الفرد من روح العائلة (الأب أو الأم) أو من الفرد المُلهمّ في العائلة وخارج العائلة، قدسية الأفكار لا تخضع لاجتزاء كسلوكّ فردي.

الاعتقاد جزء تفصيلي يقوم على ركنّ الاعتياد، إن الإنسان يعيش في دائرة الإنسانية وفق الاعتياد التي استمدت من العائلة والتقاليد والعرف، كلّ معتقد أمن فيه الفرد، هوَ ناجمّ عن تأثير البيئة التي نشأ فيها، فإن التخلص من بذور الجهل يرتبط تفضيليًا بالأنا الفردي الراسخ في القيم المكانية، عملية الدفاع عن تلكّ الأفكار تغدوا فطرية، دون مبرر أو مسوغ واقعي لا ينافي الرؤية الفكرية الحقيقية، وهذا ما يلاحظ في دفاع الأبناء عن معتقدات الآباء بغضّ النظر عما كانتّ عليه تلكّ المعتقدات وما تحملّ من الصواب والخطأ في جوهرها، إنّ الضرر الأكبر للاعتقاد يتجسد في العواطف، فإن الحكم في أي مسألة يجب أن يتخلص الفرد من العواطف الجياشة التي تدفع بهِ نحو تقبلّ أفكار هادمة.

هناكّ من نشئ صوفيّ الاعتقاد في جوهره ومضمونه، ومن ثم ينسلخّ من تلكّ التجربة ليصبح سلفيًا (على سبيل التجربة)، هنا سلفيتهُ ستكون مزيج ما بين فكر قديم هُدم وفكر جديد دشنّ، لا يتشابه فيهّ مع السلفي القديم الذي مرّ في مراحل التنشئة، هجومية الجديد وحديته ستكون ذات صبغة أحادية، ينطلق من معتقد آمن فيهِ دون ضغط العائلة والأقرباء.

الاختيار سابق للوجود، تأصيل واضح في معالمّ أفكار وجودية، دفاع روحي نفسي هلامي، ازاء الأفكار التي يتقمصها الفرد، فما كان للإنسان أن يعيش في عالم لا يؤمن بهِ فإن هذا الإيمان يجب أن يأخذ بهِ إما نحو إنسانية عالية في مضامينها أو دونية في الأفكار والقيم والأسس، اعتقادك بأن العالم يقف على شفيرة هاوية وأنت الفرد القادر على تغيير معادلة العالم، فإن هذه الفكرة نتجت عن رؤية خيالية دشنت مرحلة تأصيل في بداية التنشئة الاجتماعية، الخيال هوَ الملاذ الوحيد

للمضطربين اجتماعيًا، لأن الهروب من الواقع يتطلب أن يخرج الفرد من الأفكار الرهينة للولوج إلى أفكار جديدة.

يغرق الإنسان في أكثر الاشياء التي أحبها، فيّكاد ألا يخرج منها حيًا ... تلكّ الحروب التي يخوضها مع نفسه تأخذ منه الكثير، مع الأيام سوف يصبح شخص تافه لا يبالي لأي شيء وفي نظرة الآخرين لهُ، أما من الداخل فهو ليس سوى شخص يطرح أكثر من ألف تساؤل فيجيب عن كُل تساؤل ما لبثّ أن دحضّها حتى ظهر له ألف تساؤل جديد، ديالكتيكّ مقيتّ يؤصل لجّة الوعي.

صيرورة الزمن، دلالة معرفية للرؤية الإنسانية من الدونية إلى الفوقية، أرجوحة الفكر تدفع بالإنسان إلى إنكار الذات المغلفة في الزيف المادي لبراثيم الفكر القبلي الناشئ عن آراء مختلفة حول الإنسان والطبيعة ممنّ هم أقل شأن من الفرد، سرعان ما لبث إلى دحض تلكَّ القيم والآراء التي تعدّ مقدسة لدى البعض ليظهر بمفاهيم جديدة تستند نكرًا على البناء القيمي القبلي أو حتى الاجتماعي المغلوط، وهي تعد في مكنونها مسائلة ترسيخ لتلكّ الأواصر داخل المجتمع وإن كانتّ محلّ خلاف.

المأمول هو أن يتقبل الإنسان مصيره في وسط الجموع إلا أن المعقول هوَ أن يتمرد على تلك المفاهيم، عندما يتحرر منها يدخل النور الذي يشع بنور الحقيقة لا زيف فيها إلى داخل روحهُ، فكلّ فكرة نشئت في ذهن الفرد منذ ولادتهِ وإلى اليوم الذي اكتسب فيه الوعي كان اللاوعي مسيطر عليه بدرجة كبيرة، فإن الأصل فيّه أن يحرر نفسهُ من سطوة تلكَ القيود العبثية التي تقف بالضد من المفاهيم الإنسانية وتمنع سمو الإنسان في وسط عالم مليء بالفوضى التي لا طائل منها، حيث يمثلّ وجودها عامل يكبح وجود الإنسان.

ديالكتيك القبلية، ترى في أن مصلحة القبيلة تقف بالضد من مصلحة الفرد أو الدولة أو الدين، وأنها تعلم أكثر مما جاء في مضامين

الدين أو أكثر من رؤية الدولة أو الفرد، لذلك فإن رئيس القبيلة نصبّ نفسه أن يحلّ محلّ الله في إطلاق الأحكام وتنفيذها، وقطعية تنفيذها يجب أن يكون ذو تأصيل عام دون منح أحد أن يعترض على تلكَّ المفاهيم التي أضحت مقدسة وأن اتباعها ضرورة قصوى.

نجد بعضّ المتدينين يخشون القبلية أكثر من خوفهم من الله (سبحانه وتعالى)، تجدهم يتبعون القبيلة أكثر من اتباعهم للنصوص الدينية التي نشئوا عليها وتعلموا نصوصها منذ نعومة أظافرهم، إنّ الدين والاعتقاد غالبّ في وجود الإنسان روحيًا، عندما يتم تغليب القبلية في مضامينها على النصوص الدينية يبدأ شرّ النفس البشرية في الوجود المادي، لا فائدة تذكر من علمّ حبيس الأرواح أو من علمّ يعجز أنّ يقف بالضد من المفاهيم الإنسانية المغلوطة.

الاعتراف بالذنب من جنس الفضائل التي يحمدّ عليها الإنسان في قولها أو حتى الاعتقاد بها، فلا يمكنّ لأي إنسان أن يكون مثالي في عالم متجذر فيه الخير والشر ويتوسط فيه الاعتدال النابع من الرضى النفسي الكامن في الروح البشرية النقية، الإيمان في مسلماتها مع الدليل أمر حتمي راسخ في مبادئ الرؤية المادية.

تتمثلّ الفجوة في اتساع حدة الهوة بين الواقع والخيال المادي الذي ينشئ بفعل احتدام الصراع الوجودي المؤطر بإطار ميتافزيقي المعاني، ينطلق من دلالة غائية تعتقد في الشكّ شر مع عدمية تجاوز النصوص العائلية (القبيلة والعرف والعادات والتقاليد) المقدسة، قداسة نشأت من وهنّ لمفاهيم في مضمونها الخطأ.

اليقين، هوَ تسليم مباشر للقيم والعادات والتقاليد التي استمدها الفرد بأنها كانت نتيجة تجليات الإلهية للإنسان خير في تجاوز مكنونها، حين أن هناك من يرى أن التجليات الإلهية تنطلق من الاعتقاد في كسرّ الإطار المحيط بالإنسان وما يحملهُ من ضمامين وأسس روحية مادية، المجهول فيها يقين حتمي في الروح التي تعلم أسس ومنطلقات الفرد وإن أظهر خلاف ذلك، فإن الاختلاف الظاهر للعوام هوَ محض كذبة

متأصلة في السلوك الإنساني، إذ يخشى الفرد في الاعتراف من عدمّ جدوى تلكّ القيم والمفاهيم التي تعامل معها.

تلكّ المخاوف ناجمة من ازدراء المجتمع الرافض لتكّ الثوابت والمسلمات التي يعتنقها الجموع، فإن كلّ ما يؤمن به الجمع هو حقيقة مقدسة يجب عدم المساس بها وما ترى فيه القبيلة هو صدق عظيمّ يجب عدم التنكيل به؟ وهذا هو الهراء بحد ذاته.

تلوث الأفكار يتجسد في تلوث الحقيقة، فإن كان للحقيقة ثوابت فإن للأفكار قيم وأصول يجب عدم تخطيها أو الخروج عنها، أي فكرة لا تساعد الإنسان للخروج من الظلام الذي يعيش فيه فإن تلك الأفكار هيّ شريرة ويجب عدم الأخذ بها، لأن جوهر الفكرة منافيّ للروح الإنسانية، التي تعد بمثابة ترسيخ للتعاليم الإلهية في الأرض، ثم فإذا تلوثت الأفكار بقيم إنسانية مغلوطة فإن هذا التجاوز لم يكنّ محضّ تجاوز على القيم الإنسانية فقط، إنما هوَ تعارض واضح على التعاليم الإلهية، لذلك يجب عدم السماح للتعاليم القبلية أن تأخذ حيز أكبر في النفس البشرية أكثر من التعاليم الإلهية، فهذا التجاوز عبودية إنسانية بنوع أكثر كلاسيكية.

يغرق المرءُ في أفكارهِ أشد من غرقه في المياهُ الضحلةِ، بعض الأفكار الأنيقة، يغرقّ فيها الأفراد بألوان زاهيةّ مثلّ لون الغرق، فما لا يدركهُ المرء في تلكَّ القيم والأفكار لا يدركهُ في نفسهِ، إن المدركّ لا يشبهه الغير مدركّ في اقتناء الحياة التي يرغب فيها، ففي الحفلات يكون إنسان مرح واجتماعي وشخص ودود أثناء السيرّ عائد إلى المنزل يرتدي ثوب الاكتئاب وكأن ما حدث لم يحدث قطعًا، مصلحة الفرد تدفع بهِ دائمًا إلى الهاوية، حيث الخراب والبؤس والخوف يشعر الإنسان أن أعظم ما يحققهُ هيَ مصالحهُ لكن لا يعلم أنَّ تلكّ المصالح ليست سوى أذونات للبؤس.

الرغبة ملازمة للفرد ولا يمكنّ أن ينفصلّ عنها، رغبة الإنسان في الحياة هيّ نابعة من رغبته في تحقيق هدف معين وإنَّ هذا الهدف

يرتبط في رغبة الفرد في تحقيق هدفٍ آخر وإن كان لا يستشعر وجودهُ، مثلّ شخص يحب الحياة بسبب فتاة أحبها من قلبهُ إذ يرغب في العمل لجمع المال، المال والرغبة ترتبط بالهدف الأسمى للفردّ في الزواج من الفتاة والظفر بها؛ هذا الهدف يرتبط بالشعور في الأمان (المُتخيل) بعد الإحساس بهذا الشعور يسعى الفرد إلى الراحة، ومن ثم تنزوي تلكَّ الرغبة للانتقام من شخص معين كان شديد العداء للفرد نفسه.

الانتقام يعدّ تأصيل مسبق للاوعي، عندما يشعرّ شخص بأن عدوهُ بخير ويعيش بأمان فإن ذلك الشعور يؤثر نفسيًا في شعور الشخص المقابل، انعكاس نفساني مؤدلج يخلق هالة من الألم تحُدقّ بالفرد وإن كان لا يستشعر وجودها، الملاحظة تأتي متأخرة وإن أتتّ متأخرة فإن أهداف التأصيلّ قد أوجلتّ مبتغاها.

الفرد عند ولادتهِ، لا يحددّ توجهاته ولا يمكنّ أن يختار القيم التي يجب أن ينشئ عليها، عليه القبول فقط والتسليم لكلّ تلكَّ المفاهيم، بعدها سوف يأتي يوم وينسف كلّ المعتقدات الدينية الخاطئة والقبلية الهمجية التقلبية الانتهازية الرامية إلى الذهاب بالفرد نحو الدونية، ليصبح الفرد مجرد وعاء خاوً من القيم الأصيلة التي تسموا بهذا الفرد نحو الإنسانية المثلى.

يبقى الإنسان حبيسّ تلكَّ الأفكار الهوجاء طالماّ لم يحققّ الرضى الفعلي والحقيقي الذي من خلالهُ يمكنّ أن ينفذ نحو عالم أفضل، إلا أن النفاذ والخروج من دائرة معتقدات العائلة وقيمها البائسة ليسّ بالأمر السهلّ الذي يمكنّ تحقيقهُ في وقت قصير، احتراق الفرد مرارًا وتكرارًا، يجعل من هذا الفرد مهيئ تدريجيًا للانسلاخ من العالم الذي وجد فيه.

الروح المادية؛ تتضمن أسمى الأفكار الإنسانية التي تترجم على أرض الواقع، لا قيمة لكلّ فكرة تبقى حبيسة جدران عقل الفرد؟ عند خروج أول فكرة إلى الواقع سوف تستمر الفكرة بالتكاثر والتزاوج مع الأفكار

المحيطة، حيث تشكل فكرة هجينة في المعنى والمضمون، رامية إلى نقل الواقع الذي يعيشهُ الفرد من واقع إلى واقع آخر مختلف جدًا، إذ يسعى الفرد للخروج من مثالب التنشئة الاجتماعية ولنّ يعود كما كان، أن تتمنى العودة إلى سابق عهدك هو مثلّ الذي يتمنى لو أنه لم يولدّ في هذا العالم.

الإنسان هوَ العدو الأول لأفكاره، الحكمة والموعظة والنصح والإرشاد هيَ أفكار ظهرت على هيئة أفراد مؤثرين في المجتمع رافضين للمجتمع في معاني وجوده، فتجد من يقدم النصح إلى المجتمع في تحسين سلوكياتهُ هوَ أكثر شخص يحتاج أن يرشدهُ الأفراد إلى الطريق الحق وينصحهُ في تحسين أفكاره، فلا يرضى الفرد أن يتم تقويمّ سلوكهُ مثلّ الوظيفة التي يقوم بها، (الأنا) مرضّ عضال يصيبّ البشرية أجمع، القليل من يفهم الدرس والكثير من يحفظهُ، الحكمة في تخطي أخطاء الآخرين وتجاوزها وعدم الوقوع فيها مره أخرى.

البشرية منذ الأزل تعاقب من يرغب في تصحيح مسارها والولوج بها نحو عالم أفضل، عالم أكثر تسامح وعفة وطهارة، عالم يسود فيه الخير وينبذ فيهِ الشر، من يحاول أن يساعد الآخرين هوَ أول ضحية لهم ومن يتوقف عن مساعدتهم هوَ ضحية نفسهِ، وكأن العالم وجد لإخبارنا أن هناك قواعد لا يمكنّ العبث فيها، وإنّ هذا الوجود ثابتّ في كلّ معانيهِ، ففي المحاولة الأولى للخروج منه هوَ اعتراف فيه بعظمة هذا الخلق العظيم.

كلّ الدروب سارّ فيها الإنسان أو يسير فيها، هيّ أفكار ناجمة عن الوعي واللاوعي، تؤصل أبعاد مكانية أو زمانية تحدد وجود الفرد، وتتحكم في مقدراتهُ العقلية، فمنّ رغب في الخلاص عليه أن ينسى الحياة التي تعود عليها، جوهر الفرد هيّ (الذاتية) وما تحمل في طياتها من ديالكتيك حتمي أصل الفكر الإنساني وحدد القيم الخاصة فيه.

الحقيقة التي يؤمن فيها المجتمع الذي تعرض لأساليب القهر والقسوة مختلفة تمامًا عن الحقيقة التي يؤمن فيها الأحرار، الرعب الذي يصيب

المجتمع حول أي فكرة تسعى بنهضته نحو عالم تحكمهُ قوانين حكيمة، ازدواجية فكرية في معانِ الوجود.

التحايل على الوجود المادي في أي مجتمع يرتكز على المنافع الشخصية التي يستمدها الأفراد من داخل المجتمع الناشئ، إذ يتغذى بعض الأفراد على ضعف وجهل العوام بالأفكار، إنّ من يحاول ايقاظ الوحش القابع في داخل المجتمع هوَ مصدر تهديد وجودي للقوى المهيمنة، تغليب المجتمع على تلك الأفكار نتيجة العبودية التي تعرض لها هذا المجتمع لفترات طويلة، تغدوا الحرية أكثر خوفًا وخطرًا من العبودية.

يرى الإنسان ما يعتقد مناسب لهُ، فالحرية أو العبودية تختلف باختلاف وجهات نظر الأفراد، فهناك من يعتقد أن الحرية هيَ عبودية وهناك من يرى أن العبودية هيَ حرية، فالأشياء التي يراها الإنسان نتيجة للأوهام التي يراها، فلا حقيقة ثابتة ولا كذب ثابت، فكلّ شخص يرى الحقيقة من وجهة نظره.

الناس هنا لا يفعلون شيء سوى اعتناقهم للعبودية، فهي التي تشعرهم بأهمية وجودهم ليتجنبوا الحياة العبثية الركيكة، تحقق العبودية نوع من التنوع في حياة الإنسان العادي في الوقت الراهن، فإن كنت عبدًا للقيم الإنسانية الخاطئة فإن أهمية الفرد ترتفع تدريجًيا في المجتمع الذي يعيش فيه، وإن لم تستمع بتلك العبودية فإن الموت هوَ مصيرك أو تصبح شخص منبوذ يقول الحقيقة لا يستمتع بالعبودية.

وجود الأفراد في المجتمعات المنغمسة بالرذيلة يتمثل في السعي خلف العبودية التي لا طائل منها، فمن يتخلى عن العبودية سوف يخسر متعة وجودها في عالمه، إنَّ الخوف من الفشل وعدم الاستقرار يدفع بالناس إلى التمسك بالأفكار التي نشأت في الماضي، خشية أن تولد أفكار جديدة لا ينسجم الفرد معها، عدم الاستقرار صفة ملازمة لوجود الفرد في داخل المجتمع الذي يقوم على فكر إنساني يهدم القيم والمعايير الإيمانية.

لا يكون الإنسان سعيدًا في التخلي عن المفاهيم القديمة التي نشئ عليها، فإن العبودية تحقق سعادة فردية، التحرر باعث للتعاسة في المجتمع المغلق.

يكتسب الناس متعة العبودية، وإن كانت تخالف الفطرة التي ولد الإنسان عليها، بسبب الضغط الذي يمارس على المجتمع، حيث تعمل الأفكار القبلية (مثلًا) على ترويض المجتمع لتقبل المفاهيم المضادة لوجوده بأنها الملاذ للناس في وسط جموع آخر رافض لهُ، وهذا ما تفعله القبيلة بالدخول في معترك سياسي عبر (الدعوة لانتخاب سياسي معين ينتمي لتلك القبيلة)، بهدف الحصول على الشرف والمجد (المزيف).

عند التركيز في الواقع الذي يعيشهُ المجتمع تتأكد بأن ما حدث للإنسانية في المجتمعات التي عانت من سطوة القوة والجهل لفترات طويله هيَ ردت فعل منطقية، فقد كان أفراد المجتمع يتوارثون الخوف من الأجداد إلى الأبناء ومن الأبناء إلى الآباء ومن الآباء إلى الأحفاد، كان خوفهم يعرف باسم قدسية الأفكار الذاتية التي لازمت نشأة الفرد ووجودهُ.

الفصل الثاني:
نتاج البيئة

الإنسان محضّ فكرة نشأت وترعرعت في بيئة معينة، حيث تؤثر البيئة التي يعيش فيها الفرد عليه أكثر من العائلة التي ولد ونشأ فيها، فقد يؤمن بأفكار محددة تقبل وترفض الوقائع الذي آمن فيه الفرد يومًا ما، يخرج الفرد من عباءة العائلة إلى المجتمع الذي يعيش فيه، يترجم الأحاسيس والمشاعر التي ولدت معهُ.

تراتبية التأثير تنطلق من المؤثرات الناجمة على الفرد في داخل البيئة التي يعيش فيها، إذ يصطدم مع أفكار دينية مخالفة لهُ في معطيات الوجود، من خلال الرؤية المادية الدينية، في تفسير الرؤى الغير المادية الوجودية، يكمّن الجدل الوجودي في بيان الآليات الأصولية في إظهار المعالم المورفولوجيا المتمثلة في بيان البناء القيمي والثقافي الديني لكل فرقة ما.

التعاطي مع الممكنات العقائدية هوَ أصل الخلاف الوجودي بين الفرق الدينية في بعدها المادي، فمنّ ارتى الخلاف الحادّ أنكر المفهوم الطبيعي للوجود الأخلاقي، إذ تدشن القيم بعدّ أصولي قيمي ثقافي، يركنّ إلى الطبيعة ومآلاتها في تحديد السلوكّ الإنساني ازاء الأفكار الصادرة عن الوعي واللاوعي الإنساني، حقيقة التأثير تنطلق من أدلجة الأفكار الإنسانية مع اضفاء الطابع الديني لها، عن طريق بثّ روحّ القدسية فيها، ومن هنا اعتمد على العقل بأنهُ ركنّ أصيل في تفسير الوقائع المبهمة الغير مدركة في المنظور الإنساني، مما أنشئ قصور مفاهيمي في تفسير الأشياء الغير محسوسة، عندما يولد الفرد كفيف البصر(أعمى) فلا يمكنّ أن يكون فيلسوفًا في الألوان وطبيعة تشكيله؟ الفلسفة تموت عندما لا تدركّ معالم وجودها.

الولوج إلى المتعة القصوى تتطلب الاندماج، فلا يمكنّ لأي متعة أن تولد من العدم، ففي تفسير العدم هوَ تفسير مبهمّ، لا يمكنّ الوصول إليه، أو استنتاجهُ كرؤية فكرية إنسانية محددة فيّ قيمّ وضوابط مكانية، كأن يقول أحدهم أدركت وجود الإنسانية وفنائها، هنا الإدراك قاصرّ من

حيث المعنى وليس لهُ وجود من حيثّ المضمون، إذ يمكنّ إدراكه بشكلّ جزئي من خلال الشعور فيه.

محاولة وجود الإنسانية بناءً على التجربة التي خاضها تختلف من فرد لآخر بناءً على التجربة التي خاضها الأفراد في المجتمع، هنالكّ من خاض تجربة أشد مرارة وهنالكّ من خاض تجربة رغيدة مع الإنسانية، فمن يعيش في مدينة بغداد وذاقّ ويلات الحروب طريقة تفكيرهُ ليستّ مثل الذي عاشّ في مدينة فيينَّا، وإن كان الأصل الخلاف في بدايات منتصف القرن المنصرم.

انعكاس التجربة وليّد الوعي الفردي، فمن ترعرعّ في الأرياف يختلف سيكولوجيًا عن الذي ترعرع في المدينة، هناكّ العديد من القرى أضحت مدنّ ومدنّ أصبحت قرى، المكان رهينّ الفكر، والفكر حبيسّ الزمن، فلا يمكنّ أن يستمر كلاهما على وتيرة واحدة، الخلاف موروث إنساني موجود مع الفردّ ولازمّ الوجودية، ماهية القرى هيّ كينونة المدنّ، أسبقية الماهية أثرت على كينونة الفرد، الذي أستثئر العادات الخاصة التي جعلتّ من حياتهُ ركيزة للوعي ونتاج لها ومحققة لوجودها، في عالم هلامي متضاد في قيم الإنسانية، العدلّ الريفي هوَ خلاف للعدل المدني كرؤية فلسفية للعدل، فيما أن جهل الأرياف يعدّ رافد للمدنّية.

قتلّ الأفكار يتطلب ضربات كثيرة ومتواصلّة، بالرغم من ذلك يبقى الفرد متأثر بتلكَّ الأفكار، الخلاص منها مثلّ محاولة شخص انكار وجودهُ في العالم؟ يتشوهّ الفرد تدريجيًا إلى أن يبلغّ ذروة تغيرهُ بعد أن يغدوا فرد بائس ومشوهّ، سوف يكون أمام مصيرين لهُ إما أن يكون فرد جديد راضً على تلكّ الندوب التي أنشأته فيهِ هذه الهيئة أو أنّ يكونّ رافض لتلكّ الندوب ليكملّ حياتهُ مع الوحش الذي يقطنّ في داخله، لا مفرّ لهُ من المصير المحتوم، صداع مميت وحرب ضروسّ في داخل رأسه يقاسيّ حلكة الأفكار وصداماتها المميتةّ، الرضى والتسليم بتلكّ التناقضات كينونة وجود هوَ الخلاص الوحيد للعيش ما تبقى من حياتهُ بهوادة.

إعدام الفكر يجعلّ من موتّ الفكر مروعًا، ينعكس على المجتمع الذي يعيش في وهنّ وضعف، يتطلب وجود بديل للفكر الراحل؛ المعضلةّ في أنَّ الفرد غير مدركّ بأن الفكرّ الناشئ قد لا يتطابق في وجوده مع البيئة الرافضة لهُ، مما يجعل من المجتمع الجديد تهديد حقيقي للوجود الإنساني، حيث تسود فكرة القوة والسطوة على القيم الإنسانية، النزعة البشرية تعود إلى أصلها، فإن كان (توماس هوبز) حددّ شروط خروج الإنسانية من مجتمع الطبيعة البدائية من خلال عقد اجتماعي(يتنازل فيه الأفراد عن جزء من حقوقهم إلى صاحب السلطة) فإن العقد يتم خرقهُ ويعودّ الإنسان إلى الحياة البدائية، حيث الفجور هوَ السائد والظلم هوَ المتحكمّ في المجتمع الإنساني، فقد خلّ الإنسان بشرط وجوده، عندما تجاوز الحدود في تفسير الغيبيات وتداول أفكار غريبة لا تنطبق مع القيم التي نشأ عليها دون سابق انذار أو إعداد لها.

اللامعنى نتيجة مسبقة لتصادم الأفكار، فلسفة الفرد في بيئة متناقضة بالقيم، الإثراء المعرفي لنّ يكون ثابت في معناها تولدّ أفكار متناقضة إنسانيًا ودينيًا، فإنّ المثلية الجنسية كفكرة تعارضّ الطبيعة الإنسانية والدينية والعقائدية للشرائع السماوية والغير سماوية، فإن التسلم في ماهية الفكرة هوَ تعارضّ صريح لركائز المجتمع(مثلًا).

الحُب يتغذى على الكرُه، ففي المجتمعات التي تعيشّ مجاعة في المشاعر لا يمكنّ للبطونّ الشبعة أن تسدّ الفرقّ وتلغيّ العجزّ الذي تعاني منهُ في أن تعيشّ بسلامّ لا يمكنّ لها أن تدركهُ، فمن يموت انتحارًا مثلّ الذي يموت طريحّ الفراش، كلاهما فارقا الحياة، لكنّ هنالكّ من اختار الطريقة الصعبة وآخر ارتضى الطريقة السهلة، فمن يذهب إلى الموت ليسّ مثلّ الذي يلاقيهُ.

سخاء اللقاء أنهى اللقاء مبكرًا، أما الانتظار على أمل اللقاء لهُ حلاوة فذة في الجلوس والحوار مع الغائبين، لغةّ العيون هي التي تتحدث والشفاه صامته، إن الكلام في حضرتّ الحدث هرطقة، الاستمتاع ببثّ

الأفكار دون نطق كلمة واحده متعه، فلا يرضى أن يسمع صديق أو عدوًا ما تقول وإن كانّ حقًا، ليس عليكّ ألا أن تكتب لينتقلّ ما تقولهُ إلى الأجيال اللاحقة، بعد أن قدرّ لها أن تقرأ وأنت في طيّ النسيان فما عليكّ سوى أن تستمتع في الحديث الكامن في الروح.

الدعوة إلى إقامة مجتمع يسودهُ الحب والطمأنينة فكرة خيالية في وقتنا الراهن، جمالّ الكتابة أن من يقرأ لا يعلم أن فلسطين قد احتلها اليهود منذ خمسة وسبعون عامّ وأنها الآن تنعمُ في الحرية، كم هيَ جميلة تلكّ الأزقة المحيطة بمدينة القدس وإن كنت لم أزورها يومًا، لكنّ أعتقد في داخلي أنيّ أراها كُلّ يوم في منامي وحاضريّ.

وما أخشاهُ أن من يقرأ لم يعرفّ دولة اسمها فلسطين، فقد زالتّ وذهبتّ وحلّ محلها كيان صهيوني غاشمّ وإن كانَّ وعدّ ربيّ سبقّ قوليّ بأن العودة لنا نحنُ العرب، فإن التغيير الذي أحدثهُ اليهود في فلسطين غيرّ من تركيبة الفرد العربي الفلسطيني، كمّ تمنيتُّ أن تحبنيّ فتاة مثلّ حُب أهل فلسطين للقدس، فما مرّ عامّ إلا وقدموا لها أجملّ الشباب عرفانّ لذلك الحبُ العظيم، لكنّ من يعلم أن هذا الحبّ كُتب لهُ أن يستمر ويعيش لمدة طويلة، فإن استمراره ارتبط في التجربة المريرة التي عاشتها القدسّ مع أحبابها، لولا التجربة لما كان ذلك الحُب يسريّ في عروقّ الفلسطينيين، وها أنا أرى العرب يؤكدون ما أقول، فما رأيت أحد يدافع عن فلسطين مثلما يفعلّ أهل فلسطين، فمن عاش في فلسطين أصبح عاشقًا للقدس متيمًا بها، لا يُحب أن يتخلى عنها وإن كان حياتهُ ثمنًا لها.

في المكان الذي سوف تتألم فيهَ أكثر سوف تكبرّ ويتقدمّ عمركّ دون أن تشعرّ، فإن السنوات ليستّ قياسّ لعمرّ الإنسان الحقيقي، فما يعدهُ حقيقي غمارّ التجربة، ففي المكان الذي تعيشّ فيه هناكّ (100 منزل مجاور) وفي داخل كُلّ منزل أفراد وكُل فرد يؤمن فيّ فكرة مختلفة عن الآخر في جزئياتها، اختلاف رؤية الأفراد إلى الحياة، هوَ تنوع ثريّ يعزز الأواصر ويدل على متانة المجتمع، لكنّ إن كان خلافهم عقائدي، سيدفع

بهذا المجتمع إلى التشتت والتشرذم مع مرور الوقت، ليكونّ هذا المجتمع محضّ مختبر تجريّ فيه التجاربّ تراقّ فيه الدماء وتنتهكّ الحقوق.

قراءة في إحدى الكتب الملقاة على الأرض في احدى الشوارع المملوءة بالغبار قصة قصيرة تقول (نرى الحياة من خلال الألم).

التغيير في المجتمعات المنغمسة بالرذيلة، من أشد الأمور التي يعاني منها أي فرد أو أي فكر راميّ أو باحثّ للتغير في تلكَّ المجتمعات، فإن أدلجة فكر معين تتطلب استقصاء مواطنّ الضعف ومعالجتها ومن ثمّ ضرب أركان الوهنّ الذي يعيشّ فيه المجتمع، إلا أن عمقّ الأفكار المتوارثة من الآباء والأجداد، تؤصلّ بعُدّ حدِّ يعدّ بمثابة مجازفة كبرى، إذ أن غياب الوعي الكافِّ يشكّل خطرّ على الساعيينّ للحقيقة، ويلاحظ أن الأرياف التي تعتنقّ الأفكار القبلية، هيَ أفكار موروثة، لا يمكنّ دحضها فيّ وقت قصير، فقد عانىّ الإسلام في لحظة ظهورهُ في (قريشّ)، فقد قيلّ عن الرسول محمد (صلّ الله عليه وسلم)، لقدّ جاء محمد بدين يرفضّ فيه الآلهة التي نعبدها ونتقرب بها إلى الله زلفاّ، فإن أعرض أعطيناهُ مالًا وجاهً ومكانة عليًا بيننا، تأسيسًا من الاعتقاد الموروث للآباء.

فإنَّ التخليّ عنّ الأفكار الهادمة مرتبطة في تنشئة الأفراد، إذ لم يكُنّ رفضّ قريش للرسول محمد (صلّ الله عليه وسلم) من مبدأ الاختلاف في العقيدة (كانّ على حقّ أو لم يكُنّ على حقّ) بقدر ما هوَ صراعّ نفسي لحُب السلطة والجاه والاعتزاز بالأفكار والعادات والقيم القبلية الرامية إلى أعلى سطوة الإنسان وتعزيز الظلم والجور وإباحة الرذائل، وحُب السلطة والافتخارّ بالأنسابّ والسعيّ الى تمجيدها.

عندما تعودّ المجتمعات إلى سابقّ عهدها ناسفه للأفكار الدينية (الاسلامية)، فإنَّ تلكَّ العودة نذير واضح لسقوط الإنسانية في بحرّ الرذيلة والانغماس في الشهوات وحُب الملذات، وإنكار الوجود المادي الديني، وتشكيلّ وجود هلامي إنساني، يرتكزّ على النزعة الإنسانية في مآلاتها وأهدافها.

سطوة الجهلة وتمكينهّا في المجتمعات التي تعاني من ضعف المعرفة الإيمانية الدينية قبل أن تؤسس فكرّ علميّ نمطي يرتكز على الدراسة في العلوم الإنسانية والعلمية، الجهل مرضّ خطير، إلا أنَّ الاعتقادّ في أنَّ لا خلاصّ من دونّهُ هوَ المعضلة التي تفتكّ في المجتمعات، ثقة رجال الدين (المزيفين) في تزيفّ الحقائق، فمن يدعوا إلى معرفة الله من خلال (العقل) مثلّ الذيّ يدعوا إلى رؤية الجنة أو معرفة سرّ الملكوت (رؤية دينية عامة)، أو مثلّ الذيّ يسعى إلى معرفة الميتافيزيقا (علم ما وراء الطبيعة) وكيف تأسست تلكَّ الطبيعة، فإن حدود العلم الإنساني قاصرة على نفسها، إدراك الغير ملموس هوَ أمرّ بالغّ الخطورة، فما بين العقل والنقل، هناكّ نظرة اعتدال في ترسيم أطرّ الوجود الإنساني.

نقلّ الموروث الديني، يتطلب تمحيصّ وبحثّ واستقصاء مستمرّ، في نفسّ الأمر البحث في الأفكار التي نقلتّ عن جموع أو عن أفراد تتطلب بحث واستدلال، للوصول إلى الحقيقة، وإنَّ الحقيقة لا يمكنَّ أنّ تُخلّ في وجود الإنسان أو فيّ قيمهُ الأساسية التي يؤمن فيها، كأنّ يكون رافد للعطاء والخير، ساعيًا لإحلال الطمأنينة، إنّ الانسانّ محضّ فكرة والأفكار لا تموت إنما تولد وتعيشّ في تعرجاتّ الحياة، الحقّ يسودّ وإن تعطيلّهُ هوَ وقتِي ولنّ يتسم بالديمومة، تجسد ثقة رجالات القبلية والأعراف المغالطة للفكر المادي الإنساني التي تدعوا إلى الانسلاخ من القيمّ الحقيقية التي فطرّ الله الإنسان عليها هوَ تهديد مسبقّ للوجود المجتمعي، إذ يجبّ تخطيها، ومهاجمتها، فهناك من يرى أن رئيس القبيلة (شيخ القبيلة)، هوَ وحيّ من الله يفعلّ ما يشاء وفق ما يشاء، بهدف تحقيق مصلحة الجموعّ، وفيّ الأصل يحققّ مصلحة شخصية، افتقار القيادة للخصائص التي تتيح وتمنح الشخص معالم قوتهُ، بأن يكُن راشدً في الفكر وعالمّ في الدين وفاهمًا للأفكار الناشئة والمحيطة داخل المجتمع وخارجهُ.

عملية تفكيكّ المجتمع، تتطلب مدة زمنية منّ عقد إلى عقدين من الزمنّ لإيلاج الفكر الناشئ وتأصيل الاعتياد عليهُ، الأفكار الدخيلة

تسعى إلى تجريد المجتمع من القيم والأخلاق التي نشأ عليها، الهدف منها تفكيك المجتمع واحلال الدونية فيه، وهذا ما حدثّ في العراق بعد الغزو الأمريكي للعراق بعد العام(2003م)، فقد أصبح المجتمع العراقي ضحية الأفكار الديمقراطية التي لا تتطابق مع كينونة المجتمع، فقد أضحى العراق مرتعّ للأفكار المنحرفة والهادمة لقيم الإنسانية، ومن السلبيات التي وقعت هيَ احتدام الطائفية التي استنزفت مقدرات الدولة البشرية، إعادة تراتبية الأفكار التي تنطلقّ من فكرة تقويمّ الدولة وتعزيزها من خلال مفاهيم أصولية رامية إلى إحلال فكرة السلام الإنساني في صميمّ المجتمعات.

يتطلب بناء إنسان جاهل إلى تدمير أو إحلال الشبهات الدينية في داخل المجتمعات المحافظة، بهدف أن يسود الانحراف والأفكار الشاذة، التي تدعوا إلى منح الحرية المطلقة، فالحرية المطلقة هيَ مفسدة مطلقة، إذ لا يمكنّ تصور وجود أي مجتمع بأي شكلّ من الأشكال دون وجود قيود أو محددات تحدّ من حريتهُ، تعملّ هذه القيود على ترسيمّ طريق الإنسان في وجوده، فإن لم توجد سيكون هنالكّ مجتمع غابّ تسودهُ القوة والفوضى مما يجعل الإنسانية تنحدّر نحو الدونية.

ما يحددّ وجود المجتمعات وقيامها هيَ الإرادة التي تعمل على ترسيخ فكرة هرمية المجتمعات وليستّ الرغبة النابعة من المجتمع نحو النهوضّ الواقع الذي يمكنّ أن تعيش فيه، فإن عيشّ الفرد محدود في طبيعة وجودهُ داخل البيئة المجتمعية تحُدد ماهية وجوده من خلال المجتمع الذي يعيش فيه، فإن كان هذا المجتمع هجينّ، فإن الوجود سيكون معضلةّ في تأصل الوعي في داخلهُ، الفرد يتضررّ بقدرّ أكبر من تضرر المجتمع، حيث أن هذا الأخير هوَ نتيجة مسبقة للأول(الفرد)، ديمومة التأثير ترتبط نمطيًا في قوقعة الفكر المشوهّ، الذي سيساعد على خلّق فرد ذو فكرّ محدود ومشوهّ يستمد قوتهُ من الشهوة.

الغريزة الإنسانية تدشنّ مرحلة تعاطيّ الأفراد في الإطار السوسيولوجي المجتمعي للنسق الفكريّ، مسائلة ترشيدّ تلكَّ الغريزة

أمر عسيرٌ جدًا، في ظلّ أدلجة الغريزة الإنسانية داخل المجتمعات ذات الفكرّ الضحلّ ،غايات الفرد سوفّ تتحدّ في سلوكياتّ شهوانية (مادية أو معنوية)، إذ أنَّ الشهوة والفكرّ لا يجتمعانّ في جسدّ واحد، تتمثلّ في النشوة السلبية في هدمّ كُلّ الأفكار في داخلّ البناء المورفولوجي، نتيجة تصادمّ الرغبة مع النشوة السلبية التي أصلت البؤس والانحراف وعدمية هدف الفرد في إطار الفكرّ الجمعي الخلاقّ، بفعلّ الفراغ الذي يعيشّ فيه الفرد داخل محيطهُ، إذ لا يمكنّ أن يكون فاعلّ وحدوي في مجتمع متجذر الرذيلة، لأن أداة التفاعل داخل المجتمع هوَ التواصل، وهدمّ فكرة التواصلّ عبر احلال قيمّ شاذة تؤطر من فلسفة انعزال بعد حديّ مكاني يرُم إلى تكوين ملاذ هلامي آمنّ للفرد.

تآكل المعتقدات الحقيقية الهادفة إلى نشأة الفرد نشوء صحيح بعيدًا عن تخبطات الأفكار المادية (الإلحادية)، فكرة الاعتقاد تكمُن في حيلولة الدين في داخل المجتمع للنفاذ بهِ نحو السمو النفسي الأخلاقي، مما يعززّ بناء المجتمع وتشديدّ أواصر بناءهُ، الهجوم على المعتقدات الدينية المعتدلة، هوَ ضرب لكينونة المجتمع كبعدّ أصولي مادي، فإن المجتمعات تدينّ فيّ وجودها إلى الدينّ الذي ساعدّ على تطورها وبروزها، وإن كان الأصل في الخلاف تعاطي الأفراد لتلكَّ الأفراد، إلا أن المتوافقّ عليه في قيام المجتمع على فكرةّ تدعوا إلى الرفعة في المجتمع، تضاد الفكر الإنساني في تحويل فكرة المجتمع من مجتمعّ وجودي إلى مجتمع دوني، يتماثلّ في الغلو والأنا وما يصاحبهما من اعتقادات مادية يشوبها الخطأ.

تدنيس المقدسّ تهيئة مباشرة لصعود المدنس خلال الرؤية الجمعية المادية، قتلّ الفكر من خلال تشويههُ هوَ عملّ أخرق لنّ يصل إلى مآلاتهُ، العلاج يتجسد فيّ الفكرّ بحد ذاتهُ، تشخيصّ المرضّ هيَ الخطوة الأولى تليها تحديد أضرار التخلصّ من تلكَّ الأفكار ومنّ ثمّ إيلاج طرقّ لمعالجتها، لا يخلوا الأمر من مخاطر جمة، فيّ ظلّ وجود أشخاص من المتعصبين الذين لا يؤمنون بالمنطقّ والدليل النمطي في طمثّ الأفكار.

رعاعّ الأفكار همّ أشخاص عندما تجالسهم تشمئزّ من وجودهم يسفهونّ كلُّ ما هوَ معارضّ للفكرة المضادة، فلا خلاص للمجتمع من تلكَّ النماذج إلا من خلال ردعهم عبر الزامهم الحجة الدامغة التي تغلقّ أفواههمّ لكنّها تزيدهم تعنتّ وهمجية للشخوص المؤمنين لهم ومسلمينّ لهم تسليم مطلقّ، إذ تكون حياة من ينقلّ الفكرة إلى داخل ذلكّ المجتمع في تهديد دائمّ، ومن يدعوا إلى الصلاح عليه أن ينسى الحياة الدنيا، لأنها حياة بالية تدفع بالإنسان نحو حبُّ الحياة مهما كانت شاكلتها.

إنّ لمّ يمتلكَّ الإنسان قيمّ يدافع عنها شرطّ أن تكون الفكرة تسموا في حياة الإنسان وتساعدهُ للعيش الرغيد والهناء سوف يكونّ وجودهُ ووجود الحيوان سيانّ(في مضامين السلوك)، تحرير المجتمعات العربية من عباءة الدين هوَ أمر ممنهج، فقد عملت المنظمات الغربية إلى إيلاج فجوة مزيفة عن طريق إحلال منظمات المجتمع المدني بدلًا من المنظمات التي تدعوا إلى نشر الدين الإسلامي المعتدل، ليكنّ عملها في تضليل الفرد ودعويتهُ إلى الانسلاخ من القيم الإسلامية مع توفير غطاء مالي كبير يحققّ مساعي المنظمات الغربية أو حتى المنظمات الموالية لها لتحقيق أهدافها بالإنابة، المالّ محركّ للسلوك الإنساني، حيث أن الأخير يحققّ مطامح ومطامع الإنسان في الوجود المادي المرسوم لهُ، لذلكّ نرى أن الواقع المجتمعي في العراق بدأ في الانحسار إلى تقديس القيم المالية، فيّ أطر المعاملات الاجتماعية، فقد تحددت قيمة الفرد في هذا الإطار إلى الإمكانية المالية التي يمكنّ أن يحققها، مع ضرورة الانسلاخ من المروءة.

ما بعد الواقعية فكرة مجتمع مثاليّ يسيطر على المجتمع ككيانّ ثابت لا مجالّ لهُ للتغير، حيث أن هذا المجتمع في جوهره يشكلّ رؤية الإنسان الحقيقية، يتطلب إخراج تلكَّ الفكرة من ركامّ تصدعات الأفكار المادية والدينية، عن طريق السعي لإظهار حقيقة المجتمع، وما تحكم المجتمع قوى مهيمنة تدفع فيه إلى نسقّ معين، يعززّ سيطرة الفرد، وهذه الرؤية دعوة لعودة الإنسان إلى سابق عهدهُ في بناءه وتدفقّ الأفكار فيه.

جذب الانتباه إلى معتقدات أخرى تغيير سلوك الأفراد في داخل المجتمع، مثلّ أن يرى الفرد أن مكانتهُ الاجتماعية هيَ نتيجة مسبقة لكمية المال الذي يمتلكهُ، للحصول على النشوة السلبية وهوَ أن يكون محلّ تبجيل واهتمام، رفدّ الأنا الفردي بالتعاليّ واظهار القوة مع تسليط الضوء على هشاشة المجتمع في ظلّ الممكنات المادية(النقود) وإن تلكّ الممكناتّ هيَ الطريق الأوحد لأي فرد يسعى إلى أن يحظى بتلكّ المكانة، الأمر الذي أدى إلى ظهور الطواغيت.

المجتمع والتعليم متقابلًا، فإن نجاة الأول يرتبط في صلاحّ الثاني للنهوضّ فيه إلى سلم التطور، فإن المجتمعات تحاكيّ مستوى التعليم الذي تصلّ إليه، ففيّ المجتمع الذيّ يكون التعليم أداة فقط لتحقيق المال هيَ مجتمعات هرمة وطاعنة في السنّ وهيَ تحتضر وموتها أمر قريبّ لا شكَّ فيه، عندما ينبذّ ذوّ العلم من المجتمع ويتم تقديسّ الجهلة أو عندما ينظر بعينّ الاحترام إلى الأشخاص الفاسقين والفجرة ومعدومي الفكر وهائمين في جهل العادات والتقاليد المغلوطة على أصحاب الكفاءات والأخلاق الحسنه فإن لا خلاص للمجتمع من التفككّ والتشرذم.

إذ يكون المتعلم شخصّ مجنون وتافه وسفيه في مجتمع منافق، سيكون كُلّ ما يصدر من الشخص المتعلم محضّ هراء يعاقب عليه الجميع ولا يكترث لهُ أحد، وإن قول نكته تافهة لشخص جاهل صاحب (مال وسلطة) هيَ حكمة يشاد بها ويسعى الناس لتطبيقها.

لحظة انهيار المجتمع هيَ اللحظة الأولى التي يدركّ فيها الجمعُ إنَّ التعليم الذي يتلقاهُ الأفراد في داخل المنظومة المجتمعية هوَ تعليم مزيف غير فعال، التربية على القيمّ الإسلامية المعتدلة ضرورة حتمية، معرفة الحقوق والواجبات من منظور فرديّ ذاتّ رؤية نمطية تتمثلّ في انعكاس التنشئة على الواقع الذيّ يعيشّ فيه الفرد، بثّ الأفكار الغربية وفقّ مسميات عصرية أسستّ المفهوم يعرف باسم (نزعّ المسؤولية) ما بينّ الفرد والأفراد الذينّ يعيشون معهُ أو مع الفرد وعائلتهُ، فقد

أصبح الفرد عديم المسؤولية مع (الأب أو الأم أو كلاهما)، سمة العصر الالتزام في الحقوق والواجبات الثانوية للدين مع التغاضي عنّ الواجبات الأساسية فيّ برّ الوالدين، ساعدّ ذلكَّ على انهيار المنظومة الأخلاقية في داخل المجتمع.

فيّ إحدى المراتّ التي زرتّ فيها مستشفى الأمراض العقلية في مدينة (بغداد)، كنتّ أحبذّ الجلوس مع رجل يبلغ من العمرّ قرابة الأربعين منّ عمرهُ فيّ كُلّ مره أذهب فيها، كانّ اسمهُ (رضى) أجعد الشعرّ أسمر البشرة عيونهُ سوداء قامتهُ طويلة حسُنّ المظهر وقيافته خاصة تدلّ علىّ انضباط سلوكهُ، كانّ الوقتّ حينئذ في ساعات النهار المتأخر قرابة الخامسة عصرًا، لم أكنّ ملتزمّ بشروط السلامة للوقاية من (كوفيد19) في منتصف العام(2021م)، سألتهُ كيف تتعاملون مع تفشيّ المرض (وأنا متخوفّ أن يرانيّ أحد في هكذا هيئة)؛ لمّ يجبنيّ على سؤالي وأردفّ قائلًا ليّ عليكّ يا عماد أن تعيشّ معنا (في مشفى الأمراض العقلية) هنالكّ مكان يتسع لشخصين اثنين في غرفتي، سألتهُ وكلِّ غرابةّ لماذا قد أفعل مثلّ ذلك، قالّ أن تكون مجنون هيَ نعمة من الله (سبحانهُ وتعالى) لا يكترث أحد لكَ أو بالأحرى لنّ تكون جزء من مخططات المنظمات العالمية، أنتّ مجنونّ في أعينّ الناس من حولكّ فقط، وفيّ هذا المكانّ سوف تحافظّ على سلامة العقلّ، هنا الطعام والمسكنّ مجانًا يا عماد؛ خرجتُ من المشفى وأنا مندهشّ فقد كانت أجمل وأفضل نصيحة يقدمها ليّ أحدهم يومًا من الأيام.

صدمة الوعيّ، سعتّ للقيام بها كيانات صناعية داخل المجتمعات، من خلال إحلال فكرة الحاكمية المادية (غير الإسلامية) في رئاسة رئيس القبيلة أو العشيرة وتولي مهام رئيس الدولة، نفاذّ السلطة خارج حدود إرادة الدولة وتسييرّ الأمورّ ونفادها في الإطار الجمعيّ.

بذور براثيم انتهاك العقول وتمييعّ الأهداف الفردية فيّ المجتمعات ذات الوهنّ الفكريّ، تجدّ الفردّ يتصدى لكلّ فكرة أو مسائلة من شأنها أن تحدّ من سطوة العشيرة أو الرؤية الدينية ذات الغلو والتشدد التي

تدعوا إلى اقصاء الآخر بغير وجه حقّ، والحقّ تفردّ شخصيّ يحددهُ أشخاص لا يعلمون الحقّ كناية (استدلال) أو الحقّ مضمون (معنى)، وعليه فإن المنظمات الغربية أو العربية التي تعمل في داخل الدول العربية لا سيما العراق، عملتّ على كناية الحق، فقد أشغلت الفرد في الحقّ كمفهوم نظريّ دونّ تنفيذّ أو بيان طريقة تنفيذهُ، ترتبط هذه الرؤية في أيكولوجية الفرد في البيئة التي يعيش فيها.

جدلية الخير والشر متجذرة في السلوك الإنساني، إنّ مسالة تحديدّ تلكَّ الجدلية والركونّ إلى أحدهما أمر عسيرّ في مضمونهُ، للوصول إليه يعدّ أمر محالّ في دراسة السلوك البشري، الغريبّ أنّ معرفة مثلّ ذلكَّ السلوك للحيوانات يعدّ من المسلمات التي يمكنّ ملاحظتها في تصرفات الحيوانات (قطة أو كلبّ) مثلًا، هذه الفجوة ترجعّ إلى التفسيرات النمطية للسلوك الإنساني، إذ أن الخير الذي يراهُ فرد هوَ شرّ من وجهة نظرّ فرد آخر، بناءً على المحددات التي تحدّ من توجهات كُلّ فرد، فمنّ يناصرّ نظام حزب البعث الاشتراكي في العراق المتمثلّ في الرئيس الأسبق (صدام حسين) هوَ معارضّ للنظام الديمقراطي العراقي الحالي (بعد العام2003م)، وإنّ التجربة تبرهنّ أن النظام الحالي حققّ رفاهية اجتماعية أكثر من النظام السابق، لكنّ التنشئة الاجتماعية لم تكن قد أصلت بعدّ للخير وأظهرت بعد آخر للشر يكمن في اللاوعي.

نزوّع الفردية إلى الخير، تصريحّ مسبقّ للحصول على المصلحة، دلالات الاضطراب النفسي للفرد الذي عانى من الواقع السيئ جعلتّ منهُ كائنّ متخبط في الواقع، العلة في أن الخير ملزومّ بتصرفات الأفراد، الوهنّ الذي يعالجّ هذا التخبط، هوَ طرح فكرة الخير فيّ كُلّ شيء يحققّ قدرّ أكبر من المصلحة للإنسانية مع دفع أكبر قدرّ من الشرور التي منّ الممكنّ أن تؤثر في الفرد ومحيطه، فإن لزومّ الخير للصفة الإنسانية أجمعّ انطلاقًا من ترسيم قواعد الأخلاق، دونّ التمييز بينّ فرد وفردّ آخر منّ خلال (الجنس أو اللون أو العرق ...الخ)، وهذا ما عالجهُ الإسلام منذ ألف وأربع مائه سنة.

غياب العدلّ يغيبّ الإنسان عنّ ماهيتهُ، يصبحّ الإنسان كائنّ مسعورّ باحثّ عن أحقية وجودهُ، شأنهُ شأنّ الحيوان في السلوكّ، إن ما يثير الغرابة أن نزولّ الإنسان من الإنسانية إلى الدونية لنّ يتخطى مرتبة سلمّ سلوكَّ الحيوان، فإن الحيوان في تراتبية السلوك الحيواني يصلّ مع مراحل تطور سلوكهُ إلى المستوى السادس وهوَ أعلى سلمّ الترتيب في السلوك الحيواني ولا يمكنّ تخطيّه وإنّ تخطيّ هذا الترتيب يصلّ إلى مرتبة الإنسانية في مستواها الأول، فإن نزول الإنسان إلى هذا السلم سوف يعطلّ صعود الإنسان فيه، أقصى مرحلة يصلّ لها الإنسان لا تتجاوز المستوى الثالث كسلوكّ حيواني دنيّ من السلوك البشريّ، بفعلّ تطور الحيوان على مرّ العصور، ويلاحظ مثلّ هذا الأمر عرضيًا عندما يغدوا الإنسان مخمورًا (سكارى) تجدهُ يتصرف تصرفات حيوانية في طبيعة السلوك.

معضلة الأفكار المادية التي أنطلق منها الكاتب الإلحادي الألماني (مارتن هيدجر) عندما حاولّ تأسيس نظام مادي يفسر وجود الإنسانية في الفكر المادي المثالي، نجدّ أن محاولة تقييد سلوكّ الفرد مشكلة لا يمكنّ إيلاجها إذ أنّ الوازع الديني (بصفة عامة) هوَ ما يحدد ويقيمّ سلوكّ الإنسان نحو إيجاد ماهيتهُ في هذا العالم، فإن ماهية الإنسان تبدأ وتنتهي محدودة في البيئة المحيطة التي عاشّ ويعيشّ فيها، خاصةً في ظل التنوع الغير متجانس والمتجانس بين الأفراد في آن واحد.

الفصل الثالث:
المحيط الداخلي للفرد

الشعور الذي يلازمّ الإنسان في المكانّ الذي يعيشّ فيه هوَ دليل روحي لكلّ الأفعال التي يقوم بها، فإن الألم هو ملاذّ الفقدّ والفقدّ نتيجة الخذلان، وكلّ ذلكَّ هوا تصريح مسبقّ عن الحبّ، طبيعة المجتمع خلقتّ تصورات ذهنية تجاه العديد من المسائل والرؤى المختلفة، ترى في تسليم الفرد لها يتمّ بشكل عرضيّ يترسخّ في كينونة الفردّ.

الخوف الذي يعيشهُ الفرد وهوَ صغير؛ لنّ يشفى منهُ وإن بلغّ من العمر سبعون عامًا، ما تهربّ منهُ يبحثّ عنكّ حكمة قالها ليّ أبي يومًا ما، منّ يهرب من الموت يأتي إليه ومن يبحث عن الحبّ يهربّ منهُ، فإن ديالكتيكّ الوجود المادي لا يمتثلّ لرغبة الفرد.

منّ عاشّ حياتهُ جائعّ لنّ يعرف معنى الشبعّ، لا نفاذّ للفكر في بيئة تعانيّ من قسوة الجوع، بطونّ خاويه نتيجة لعقولّ فارغة هيَ حكمة ماركسية، التجربة تثبتّ عكسّ ما جاءت بهِ، عندما يشعرّ الانسان بالجوع يندفع غريزيًا لإشباع تلكَّ الرغبات، مهما كانت الطريق التي من شأنها أنّ تحققها للفرد.

الفكرّ وليّد الحرمان، فإن الإنسان لا يمكنّ أنّ يكونّ فيلسوفًا في أشياء لم يدركها ويتعامل معها، فما يكتبهُ أي كاتبّ عن أي أمر لم يدركهُ سوف يخلّ في جوهرّ الموضوع الذي يطرحهُ، البؤس ليس فلسفة أو نظرية مادية أو علمية أو هلامية هيَ تجربة خاضها الفرد وخرج منها بذلكّ الشكلّ، الدعوة إلى المثالية هيَ رغبة في داخلّ الفرد وإنَّ كان الفردّ يعملّ عكسّ ما يقول بهِ.

التصريح بما يعتقد به الإنسان بالرغم منّ أنّ هذا التصريح يعارضّ فكرة وجودهُ في بيئته وتعاملاتهُ الخارجية يدشنّ ظلام حالكّ في غياهبّ روح الفرد، نزوعّ الروح الإنسانية إلى المثالية والتجرد من كُل نزوة قد تدفع به إلى الدونية (فطرة انسانية)، الضمير يدعوا الإنسان مرارًا وتكرارًا إلى العدولّ عن المعاصيّ لكنّ السجال بين القلب والشهوة هوَ سجال أبدي وجودي، قد تجدّ من ينادیّ بأفكار لا تمُتّ لهُ بصله، نابعة عن اللاوعي

الذيّ يسيرّ الإنسان نحو اختيار العناية الإلهية لهُ، طبيعة ممزوجة بالأنا والتحايلّ والكذب والخديعة أصلتّ فكرة الإنسان في داخل المجتمع، وإن كان هوَ الوحيد الذي يعلم ما هو عليه فإن هذا الشعور بحدّ ذاتهُ مرهقّ ومتعبّ لهُ، فيجد نفسهُ يدافع عن أفكار لا يؤمنّ بها.

الظلم هوَ النقطة الأولى نحو التغيير، عندما يشعر الفرد في داخل المجتمع أنهُ ينالّ أقلّ مما يستحقّ فإن صفة التمرد ستكون سمة هذا المجتمع، تفاوت الفرصّ والمكانات تبعًا للتأثير المادي تمنحّ الصراع الكامنّ في داخلّ المجتمع بعدّ ماديّ وجودي، إذ ينتقلّ هذا الصراع من صراع نفسي يعيشّ في داخلّ الفرد إلى صراع داخل المجتمع.

لذلك جاء الإسلام لسدّ الثغورّ التي عانىّ منها المجتمعات لفترات طويلة، إذ دعاء إلى العدل والمساواة، وأن العدلّ كصفة هيَ أسمى من المساواة، كأن تعطي أحدهم مبلغ ماديّ من المال (150 الف دينار عراقي) من بيت مالّ المسلمين يغير حالّ الفرد من حالة إلى أخرى، حيث أن مساعدة فرد آخر قد يأخذ (مليون و500 الف دينار عراقي)، المبلغ الأول أقل من المبلغ الثاني بعشرة أضعاف، لكنّ التأثير هوَ واحد، فإن الأول احتاج هذا المبلغ للدواء من مرضّ عضال واحتاج ذلك القدر من المال، فيما أن الثاني احتاج العلاج من مرضّ عضالّ بمبلغ عشرة أضعاف الأول، فإن التغيير واحد وإن كانّ هنالكّ تفاوت، وعليه فإن العدل هوَ إحقاق أمر الله تعالى عز وجل في الارض(مثلًا).

في عالمّ متضادّ في وجودهُ يجبّ أنّ يتدفقّ الأمل في روحّ الإنسان للاستمرار في العيشّ دون توقفّ، فإن الاستسلام لكلّ المعارك النفسية تدفع بالفرد إلى الانزواء نحو أفكار شاذة، لا يمكنّ تصور وجود ترياقّ للحياة ذو فاعلية وقوة وتأثير مثلّ الأمل هوَ القادر على ضمانّ وجود الإنسان في محيطة والتعايش بصورة سليمة.

قوة العقلّ يتمّ قياسها بمقدار تقبلها للحقائق والتعايشّ معها، العقلّ هوَ الجزء الرئيسي الذي من خلاله يتعرف الفرد على المحيط الخارجي،

فبعد أنّ يعيشّ الفردّ سنوات طويلة في عراكّ مستمر داخلّ رأسه مثلّ الذي يقعّ من مكانّ عالً ويرتطم رأسهُ بحجر سميكّ، حدة الألم هيَ أضعاف ما يتم إيلاجهُ في الخارج، حقيقة الفرد في المجتمع ترتبط في الرؤية التي يظهرها وليسّت الأفكار التي يحملها، وإنّ كانت التصرفات أو السلوكيات هيَ نتاجّ للفكر فإن البعضّ وهمّ قلة ممنّ يمتلكونّ القدرة على التحكم في أفكارهم.

نجاعة الفكر فيّ تقبلّ فكرتكّ بالرغم من الوهنّ الذيّ تعانيّ منهُ مع احتواء الأفكار المضادة رغم جماليتها، فلا قباحة تذكر ولا جمالّ يؤخذ، الإنسان رهينّ تخيلاتهُ إزاء الأفكار والقيمّ فإن ما يقبلهُ ويعدهُ تسليم مطلق وإيمان حقّ هوَ كفر مطلق لفرد آخر، الرضى والهدوء وعدمّ التخبط والتسليم في أنّ الاختلاف سنة الله في الخلق، تعزيز للوجود بحدّ ذاتهِ.

قوة الإنسان تتمثلّ في عدم الاكتراثّ للأصوات النواشز في البيئة التي يعيشّ فيها الفرد، التعقلّ والبحث والتقصي بهدوء دون تشدد أو غلو أو صدآم، الاعتقاد بأن الآخر في فكرهُ تحصيل للفكر الجمعي الناشئ في البيئة، وإنّ التمسكّ في الحقّ وإنّ كان محاربّ من الأفكار الضالة، كأن يدعوا أحدهم أن يتم اتباع الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (السنة النبوية الشريفة) والقبيلة أو العشيرة ترفضّ ضمنيًا تلكّ الدعوة، فإنّ الصراع لنّ يجديّ نفعًا، سوى أن الدعوى إلى نشرّ الفكر بطريقة خفية وسلسلة دون انتظار نتائج في الوقت الراهن.

صعوبة الفكر في طريقة اختراقه للمجتمعات وعملية تعاطي تلكَّ الأفكار مع الفكر الوافد والرافد للفكر الناتج بخطّ واحد تجاه الفكر المغمور في البيئة المستهدفة، حيثّ أنّ طريقة انتشارهُ تكونّ بطيئة وصعبة الإيلاج، أي أنهُ عندما ينتشرّ في داخل أي بيئة فإنَّ التخلصّ منهُ أمر عسيرّ جدًا، تتطلب سنوات طويلة وإنّ هنالكّ مجتمعات منذ آلاف السنين لم تستطع تخطيّ فكرة معينةّ كأن يكنّ لها نفاذ منها، فإن النفاذ مُعقدّ ومربكّ في داخل أي بيئة.

الأفكار الغير مفهومة للفرد في داخلّ المجتمع تدفعهُ إلى الانغماسّ في لجّة الانحطاطّ الفكريّ الأخلاقي، فقدانّ السيطرة على النفسّ وعدم القدرة على التفكير الإيجابي تجعلّ منهُ ينساقّ نحو الرذيلة والدونية، ليغدوا تركيبًا هجينًا من المعرفة والجهل الفطريّ، نقيضّ متأصل فيّ روح الفرد، يدخل في جحيم الفكر بعدّ أن دخلّ متعة الخطيئة يدافعّ عنّ الأفكار التي حاولّ يومًا ما هدمها، الانسياقّ نحو الفكر الجمعي يؤدلج ماهية الفرد في كينونة وجودهُ بعد أن زجّ نفسهُ في سرابّ الفكر المخادع، إذ تكُنّ الأوهام بمثابة حقائق ثابته وملذات متجذرة في روحهٌ.

تعودّ الأفكار التي حاربها الإنسان إليهِ عندما يشعرّ بالضعف، يكادّ أنّ لا يخرجّ منها، ما لبثّ أنّ تسيطر عليه من جديد، تكونّ أشدّ شراسة وضراوة وكأنها فايروس تشبهه فيّه (سارس) أنتجت فيروس من الجيل التاسع وراثيًا (كوفيد 19)، بعد علاجهُ سيأتي فايروس أشدّ شراسه يفتكّ في البشرية، جينيات وراثية هجينة ذات قدرة للفتكّ فيّ جسم الإنسان وتخطيّ مناعتهُ.

يغدوا الإنسان ضعيف أمامها، انطلاقًا من أنّ الهروب منها أو تجاوزها أمر صعب المنالّ ولا يمكنّ أن يتحقق، وعليه يفرّ الفرد الضعيف منها إلى اشباع لجّة الشهوات، انسياقّ فطريّ خاطئ يأخذ بالإنسان إلى الفراغ الذيّ يجهلهّ بعد أن يصبح الفرد على قدرّ عالي من الجاهزية للاقتناع بأي فكرة يرى فيها محلّ خلاصّ، يعزى هذا الوهنّ إلى ضعف رؤية الفرد تجاهّ أفكارهُ.

الفكرّ شعاعّ الإنسان، يتأثر الفكرّ طرديًا في الأفكار التي تعرضّ لها في المنزل (العائلة) أو من خلال التواصل الاجتماعي (البيئة المحيطة لهُ)، إذ يتقمصّ الفرد كُلّ ما يلاحظهُ في المجتمع من أفكار إنّ كان مدركّ لتلكّ الأفكار أو غير مدركّ لها، بهدف إعادة تركيبّ البعدّ السيكولوجي في أواصر الأنا الشخصي.

يثارّ من هذا الجدل الكامنّ في لجّة المجتمع فرد مزيف، أنسلخ من ذاتهُ واتبع الذات العليا التي يؤمن فيها المجتمع، كانت المحاولة الأولى

للفرد أن يخرجّ من الدائرة لكنّ سرعان ما لبثّ أنّ عاّد إليها كرةً أخرى لم يكنّ قادرّ أنّ يتفادى الصراع الإنساني؛ للفكر الآني، حيث أنساقّ إلى رؤية فكرية مزيفة تدحضّ الواقع الذي كان يتصورهُ، فإن قيمّ القبيلة أو العشيرة هيَ قيمّ آنيّه محدودية الفكر والمعرفة، تنطلقّ من المعرفة السطحية لها، تأخذ بدلالات غائية كامنةً في الصيرورة الزمنية، سعّت لأخذ مكانة الدين في المجتمع واحلال الفكرّ الدونيّ دونهُ لإيلاجّ فكرة القطيع.

حرية الفكرّ تتمثلّ فيّ العزلة لفترات زمنية طويلة يتمّ من خلالها بناء إنسان صلبّ غيرّ هشّ صعبّ تحطيمهُ، الخروج بعقلية محدودة التفكيرّ إلى مجتمع منغمس بشذوذ الأفكار أو الاختلاط بأفراد يعتقدونّ أن الله خلقهمّ للمتعة واهدار الوقت في الزواج والعمل وتناولّ ألذّ الاطباق وأشهى الأطعمة، دونّ السعيّ لإنبات بذور الخير في حياتهمّ وحياةّ غيرهم هيّ فكرة شريرة.

اصلاحّ المجتمع مرتبطٌ جدليًا بإصلاح فرد، نواة المجتمع الفرد ونواة الفرد فكرهُ ونواة الفكر عقيدتهُ أو بالأحرى رؤيتهُ للعالم المادي والتأمل في كُلّ تلكَّ التفاصيل التي وضعها الله لنا للتمعُنّ والتفكير فيها، حقيقة أنّ ما يربكّ تفكيريّ هوَ تفكير العوام (الجموعّ) كيفّ لإنسان سويّ الفكر أن يعتقدّ بأن الباطلّ لهُ سطوة وأن الحقّ ضعفّ، إن أقصى درجات الضعف هوَ الصمّت عند قولّ كلام خاطئ.

فكرة الخوف طوباوية، فإنّ كان الجميع سوف يموت ويفارق الحياة بطريقة أو بأخرى، لماذا؟ يخاف الإنسان ومّن ماذا يخاف؟ خوف النفسّ فيّ أن تصبح منبوذة في المجتمع وألا تلقى درجات التقدير والرقيّ، إذنّ عندما ينتهي خوف الإنسان تبدأ المتعة.

تخيلّ أن الواقع سوف يتغيّر مثلّ تخيل مبتور الأيدي إنهُ سوف ينام في الليل ويعود عشرة أعوام في الصباح معافى الجسدّ، الإنسان عندما يشتد الألم عليهَ يهربّ إلى الخيال لإرضاء النفس والتخلصّ من الضغط النفسي، من المشكلات المسّببة الناجمة عن هذا التصور هوَ الأضرار

التي ستقعّ علىّ الفرد، فإن الاستمرارية لمثل تلكَّ العادة السيئة تولدّ انتفاء العقلانية والحكمّ على الأحداثّ بطريقة مسبقةٍّ بناءً على العاطفة.

الذهنّ يخلقّ تصورات تنتقلّ إلى الفرد عبر الملاحظة، إذ لا يمكنّ ملاحظة الأشياء والاقتناعّ بها إلا ما يمكنّ للعقل أن يستوعبهُ، فإن الأشياء التي لا يستوعبها العقلّ لا يراها الفردّ إنّ كانتّ حقيقة ثابتةّ أمامهُ، ففي اللحظة الأولى التي يصلّ إلى المعرفة المجردة من العواطف أو القناعات سوف يرى الحقيقة المجردة لا زيفّ فيها.

ألدّ أعداء الإنسان نفسهُ، ففي أعماق الإنسان هنُالكّ صوت خافتّ يصدح بكلمات غيرّ مفهومة فيّ فتراتّ متقطعة، يسمعّ لهُ الفرد في الأوقات العصيبة، نفسيًا يميلّ الفرد إلى الإصغاء إليه دونّ ترددّ، مهما تظاهرّ الإنسان بالشرّ فإن بذرة الخير متأصلة في داخلهُ، يتأدلج الإنسان بناءً على المعاركّ التي خاضها في أعماق روحهُ.

ولادة الخيرّ بعد موت الشرّ وولادة الشرّ بعد موت الخير هيَ ولادة قاصرة، عندما يرفضّ وجود الفرد في داخل محيطه الذي يعيشّ فيه فإن هناكّ فرد آخر ولدّ في داخلهُ، قسوة الحياة فيّ أي مكان تطئ أقدام بنيّ الإنسان فيها، عندما يموت الفرد يعرفّ من هوَ بعد وفاتهّ، عرفتّ الأفكار فيّ وقتها بشخوصّ رفضهمّ المجتمع بناءً على النقد الذاتي، فإن من يرفضّ أفكارك هوَ لم يرفضها إنّ كانت على خطأ أو صواب، إنما الرفضّ نابع من الأنا الذاتي بناءً على العائلة التي تنتمي إليها أو إلى المعتقد الذي تؤمن فيه، تبدلّ الأجيال يكشفّ زيف الآراء، تسودّ الأفكار في مضمونها دونّ النظر في ماهية الفرد ووجودهُ بعدّ تعاقب الزمانّ.

يموتّ الفرد بسبب الأفكار التي لمّ يخافّ منها يومًا ما، أسوء ما يمرّ على الإنسان أنّ يعيشّ متجردّ من الخوف، دونّ حدود أو عوائق تحددّ أو تقييدّ فكرة وجودهُ، متعة الوجود تتجلى في موت الخوف، ما لا تخافهُ يقتلكّ، الخوف رادعّ وضابط للنفسّ في الأفعال والتصرفات، موتّ الخوف ولادة لإنسان جديد صلبّ وعنيدّ غير مباليّ وأبله ومعتوهّ

وخطير، سوف يبدأ في دحضّ أفكار المجتمع وتحليل ميولّ تلكّ التصرفات الناجمة من اللاوعي.

سنامّ المجتمع الفكر، فعندّ أي محاولة إسقاط هذا السنامّ فإن المجتمع يمرّ في مرحلة مربكةّ يكُنّ قادرّ على الوقف منّ جديد بعد تحطيمّ ماهية المجتمع، عبر احلال أفكار جديدة في كينونة المجتمع، إنّ كُلّ تصرفات الأفراد داخل المجتمع نابعه من اللاوعي، أي من الأجزاء الغير عقلانية، وأي محاولة أفراد الغيرّ عقلاني مع الأفكار العقلانية هيَ محاولة لجذبّ المجتمع نحو إعادة البناء، البشرية منذّ بداية خلقها هيَ تعاقب الأفعال الهادفة لتغيير سلوكياتها، خاصةً أنّ الاعتياد يمنح العقلّ دلائل وهمية للأفكار الشاذة، كأنّ تقوم المجتمعات بتقبلّ فكرة (الشذوذ الجنسي) إلا أن هذا التقبل لمّ يكُنّ وليّد اللحظة، فقد تطلبّت هذه الأفكار مئاَتّ الأعوام للتغيرّ، هيَ الحالة الوحيدة التي اجتمع عليها العالم في رفضها، هذا الرفضّ كامنّ في النفسّ البشرية حيث أضحتّ ترى في هذا السلوك المهدد لكلّ القيم التي يعتقنها أفراد المجتمعات المختلفة، وإن القبول ينطلق من الاعتقاد فيها.

فلسفة العلم تؤدلج أفكار تعيش لحيوات مديدة في المجتمعات التي عانتّ من الجهل، ففيّ الفلسفة الحقيقة الداعية إلى تغييرّ حياة الإنسان نحو الأفضل تجدّ حياة الإنسان تزدهرّ حيثّ تجعلّ من الفرد محركّ لذلكّ المجتمع، لا يمكنّ أنّ يصلّ الفرد إلى تلكَّ البقعة إلا بعدّ أن يحترقّ مرارًا، رفضّ الفرد للمجتمع أو للقيمّ التي نشأ عليها كأن تكون محضّ (عادات وتقاليد قبلية) بناءً على الضعف الذي واجههُ بسببها في الكيانّ الذي يعيشّ فيه، حقيقة قوة الفردّ نشاءة من الضعف.

السماحّ لتلكّ الأفكارّ وإيلاجّها إلى داخل النفس البشرية، نذيرّ نحو قيامّ كائن آخر مؤدلج ساعّ للتغير، إنّ التنبؤ بهذه الأفعال صعبّ جدًا، لأنها تشكلّ جوهر اعتقاد الفردّ ترتكزّ في روحّ الإنسان لا يمكنّ استقصائها أو الوصول إليها من خلال الملاحظة المباشرة، التحقق منها يتمّ عن طريق تحليل تحركاتّ الفردّ وطرحّ سلوكياتهُ، فإن كانّ غارقّ في

لجّة الشهوات لا يمكنّ أنّ يهددّ قيمّ أي فرد من الأفراد، منّ يتبعّ الشهوة يكونّ ضعيف الفكرّ هزيلّ المنطقّ هشّ الاعتقادّ، ناهيكّ عنّ تأصيل الوعي هوَ محددّ في رؤية الإنسان، تجريبية الوقائع تتأصل في إيلاجّ الأفكار المادية وترسيمّ تلكَّ الأفكار بأطر (غير ملموسة)، تتمثلّ بالرغبة في بثّ روحّ الأفكار في المجتمعات التي عانتّ من الظلم لفترات طويلة، وعليه فإنّ الإنسان فكرة والفكرة لا تموت.

براثيمّ الفكرّ المادي فيّ الوجود (الملموس)، يخضعّ للاعتقاد المسبقّ فيّ كينونة كلّ شيء حولهُ، عدم التسليم فيّ تلكَّ البراهينّ هوَ دحضّ كامنّ يخلقّ شرخ فكري عميق فيّ الروح البشرية سوية الفكرّ من خلال تأصيلّ معالم الفكرّ وتوجهاتهُ، فإنّ كانتّ الأفكار ناجمة من اللاوعي فهيّ أكثر مصداقية من الأفكار الناتجة عنّ الوعي فيّ محلّ تحديد توجه الفرد، إذ يتجلى العقلّ عاملّ مؤثر في تزيّين الأفكار ببريقّ مزيف يظهر رؤية تحملّ في مضامينها تفسيرات متعددة الأنماط.

تحرير الفكرّ من الوعي تسليمّ للاوعي بأنّ يعملّ على تأسيس رؤية مادية حقيقة ترى فيّ الوجود حقيقة ثابته، فردّ مزيفّ يظهر حقيقتهُ المطُلقة فيّ لحظة غضب، ففيّ تلكّ اللحظة تغدوا البشرية أكثر صدقًا في إظهار خفايا الأنفسّ، عندما يبلغّ الصراع ذروتهُ تنفجرّ الأفكار المتضادة (فيّ المعنى والمضمون) لتؤدلج فكرّ جديد أكثر حدة وتناقضّ في الفكرتيّن السابقتينّ (في المضمون).

التزامّ الصمتّ تجاهّ الآراء السائدة في داخل المجتمعّ خطرّ محدقّ في حقّ الفرد نفسهُ، يموتّ الإنسان بسببّ الأفكار التي اعتنقها، موتّ مختلفّ لا تخرجّ الروح بسببهُ، فإن ما يخرجّ منهُ هوَ فكرّ قديمّ ويأتي فكرّ جديدّ ينغمسّ في أعماقّ النفس يؤطر ماهية جديدة للفرد تغيرّ ملامح الفكر المعتنقّ والفكر المضادّ.

انهيار الزيف، الحُب يدفع الإنسان إلى اعتناق كُلّ ما هوَ واهنّ، فقد يرىّ فيّ أنّ تلكّ الفكرة هيّ الأجملّ لكنّ مع مرور الوقتّ وسيادة

الملاحظة على اللاوعي يرى أنّ الفكرة التي انطلق منها كانت باليةً لمّ تنبع من تأصيل حقيقي، فإن المحبّ أعمى لا يرى الحقية الكامنّة في الوجودّ، الآلام الناجمة عنّ تلكّ الفكرة يصبحّ ألمّ فضيعّ أشدّ ضراوة بعدّ انهيار الزيفّ، عباءة الفكر تتأصل فيّ التبعاتّ التي تلحقّ في الفردّ نتيجة أفكار كانتّ راسخة في ذهنهُ لفترات طويله.

سعادة الألم تطرح تساؤل؛ كيفّ للإنسان أن يستمتع بالأشياء التي تسببّ لهُ ألمّ فضيع؟ يكاّد أنّ لا يخرجّ من تلكّ البقعة الآثمة، الرضى الداخليّ (النفسي) يوّجدّ إنسان منيعّ من الأزمات، فيّ كلّ المعاركّ النفسية التي يخرج منها الفرد على قيّد الحياة تجعلّ منّ هذا الفرد أكثر صلابة ومتانه من سابقتها، صقلّ الروح وترويضها يتمّ من خلال هدمّ المعتقدات الآثمة والتمسك فيّ التعاليم الإلهية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، لكنّ من يدريّ أنّ البعضّ يعتقدّ أنّ حريتهُ تتمثلّ في تحطيم هذا المعتقدّ الديني بحدّ ذاتهُ؟.

ماذا لو أنّ الفردّ فعلّ ذلكّ؛ كيف يمكنّ بعدها تحديد ماهيّة وجودهُ؟ جميع القيود التي ألفتّها البشرية منّذ بدء الخليقة وإلى يومنا هذا لم تساعدّ على تطور الإنسان، سوى الدين استطاع أن ينتشلّ الإنسان من فكرهُ المحدود، طرحّ التساؤلات في أصول الديّن أمر منطقي للإنسان الواعيّ، لكنّ تجنبّ الخوضّ في مخاضّ هذه الأفكار والابتعاد عنها هوَ تأصيل للاوعي، لأن الدخول في مساعّ الشكّ تصريح مفتعلّ للشيطان أن ينغمس في روح الشهواتّ التي تطالّ الفرد في مجتمعهُ ووجودهُ.

الأفكار حبيسة فيّ غياهبّ الروح نفادها عبرّ أيكولوجية المشاعر والأحاسيس أو التواصل مع الآخرين، قدّ تظهر في داخلّ العائلة، إذ أنّ العائلة تعملّ على تهجيّن تلكّ الأفكار وتهيئ لها بيئة مليئة بالكراهية، نابعة من الاستهزاء بتلكّ الفكرة أو رفضّ التعاملّ معها مما ينعكس التأثير على الفرد نفسانيًا، معضلةّ تلكّ الأفكار أنها قدّ لا تنسجمّ مع الواقع الذي تخرج منهُ وإليّه، خاصةً أنها كانتّ عالقة في اللاوعي لسنوات

طويلة، فإن تحريرها من قيّد الذاتية مخاطرة كبرى يتحملّ نتائجها الفرد وحدهُ دونّ غيره.

فيّ داخل كُلّ شخصّ وحشّ قابعّ في أعماقهُ، غذاء هذا الوحشّ هيَ الرغبات (اشباع الشهوات والملذات المادية والمعنوية) تعملّ على تخديرّ هذا الكائن المتعجرف، عندّما يشعُرّ هذا الكائن الكامنّ في أعماق الإنسان بالجوع، فإنهُ سوف يخرجّ ليلحقّ أكبر ضررّ ممكنّ، وهذا ما يفسرّ سلوكّ الإنسان في لحظات الغضب فاقدًا للسيطرة على روحه، تجدّ أي شخصّ عندما يبلغّ ذروتهُ يدخل حالة هستيرية ترفضّ الواقع وتزدري منهُ، يتحدثّ فيّ كلامّ نابيّ مؤذي ممزقّ للعلاقات الاجتماعية تؤسسّ شرخّ عميق في الوجدآن الإنساني.

فراغّ الوجود يؤدلج فردّ وهمي فيّ المجتمع، الديالكتيكّ يمثلّ الحكُمّ في آلية التواصل المجتمعي، يدشنّ ضعُفّ للحوار المجتمعي إذ يخلقّ رؤية مشوهة تجاه واقع الفرد ومحيطهُ، حيّث يتعايشّ الفرد مع صراعات وهمية تجاه الأفراد القاطنيّن معهُ في نفسّ البيئة، من خلال تخيلّ صراع (كراهيةُ) وعلاقات سلام(محبة) تبعًا لملامح أتون البدنّ.

التصورات تحركّ الفرد في داخل المجتمع لا شعوريًا وإنّ كانّ يعتقدّ أنّ ما يقوم به هوَ إرادتهُ الفردية إلا أن حقيقة هذه الحالة سيطرة اللاوعي على الفرد بسبب ارتفاع حدة الضغوطات، مما تشكلّ هالة مزيفة من مشاعرّ الحبّ والكراهية لكلّ شيء محيط فيّ الفرد.

الحزنّ يخيمّ على الإنسان العاقلّ في مجتمعاتّ مليئة بالتناقضات، فلا يكّاد أنّ يخرج من دهاليزّ المعرفة العميقة للأحداث وتفسيرها وتأصيل وجودها، ففيّ كلّ تساؤل يطرحهُ يجّدهُ نقيضّ متجذر في الادعاءات التي يظهرها الفرد في المجتمع معّ ما يعملّ فيه أو يؤمن فيه، فتجّد المجتمعات التي تدعوا إلى التسامح هيَ أكثر المجتمعات التي تحتاج إلى التسامح وأن من يدعوا إلى المحبة هوَ شخصّ يكنّ في داخلهُ بذور الشرّ أو أنهُ مارسّ الشرّ لسنوات طويلة لحّد الإشباع، وهذه هيّ السمة المميزة للمجتمعات البشرية في الوقتّ الراهنّ.

يكمنّ نفاّذ الإنسان من التصدع عبر تأمل الواقع التجريبي أو الواقع المتخيل، وإلى أي حدّ يمكنّ الركون إلى أحدهما، الدربّ الذي يحققّ أكبر رفاه ويساعدّ الإنسان على التحرر من القيودّ الهادمة لوجودهُ في عالمّ هلاميّ هو الحلّ الأنسبّ، يكّاد أن يسمع الفرد أزيز التشاؤم في تجليات الصمتّ القابعّة فيّ كينونة الروح، حيث أن الفعل الخاطئ يسموا على الفعلّ الصائب في اللحظة الضبابية أثناء محاولة الفردّ للخروج من أزمتهُ الوجودية، ملاحظة السماء والشمس والقمر وسماع صوتّ الرياح والشعورّ بكلّ ممكنات الوجود التي تساعدّ على فهم العالم.

صيرورة الزمانّ تعدّ بعدّ حديّ للفردّ في عالمّ المتخيلّ إذ تقوم بتشكيّل الأحداث وإخراجها إلى حيزها المكاني رغمّ الاختلاف الماديّ في معالم الوجود السائد بيّن فردّ يعيشّ في أقصى الشمال وآخر يعيشّ في أقصى جنوب الأرض، كتأثير نفسي هوَ متشابهة في إيلاجها، فإنّ تعاطي النفس البشرية مع أي حدثّ سآّد في هذا الزمن أو حدثّ سآّد قبلّ قرون أو حدث سوف يسودّ في زمنّ لاحق يمكن التعاملّ مع الحدث وإن اختلف في مضمونهُ كبعدّ أصيل يتجسد فيّ تكميمّ الرؤية المادية، والخلاف هوَ تأصيل لآلية التعاملّ التي تتمثلّ محدداتها في الاعتقاد الراسخ للرؤية الفردية الآنية.

الفصل الرابع:
اكتساب الوعي.

السؤال بوابة الجحيم، يبدأ منّ كُلّ شيء نشأ عليّه من عادات (روتيّن) وتقاليد (قبلية) وقيمّ (عائلية)، عن طريق بثّ روحّ الشكّ في كُلّ من اعتقدّ به شرطّ أن تكونّ تلكَّ القيم باعثّة للشرّ في داخل المجتمع، تعاكسّ الوجود وترفضّهُ وتعمل على إيلاج فكرة هجيّنة في أي بيئة يعيشّ فيها الإنسان، لا سيما أنّ هشاشة الفردّ تأصيل للبعّد النفسي الذي يساعد على تقبل الاختلافات المؤدلجة في طبيعة سلوكّ أفراد المجتمع، حيثّ أن القيّم تتبدل مثلّ تبدل فصول السنة.

شتاء الفكر هيَ مرحلة إيلاج الفكر وتكوينهُ في ذهنّ الفرد، تتسمّ هذه المرحلة فيّ أنّ الفكرّ الناشئ صعبّ اختراق الفرد وعملية تعاطيّ الفرد معهُ بالغة الصعوبة، إذ يتطلب سنوات عديدة لنفاّذ الفكرّ في وعيّ الإنسان، من مميزاتّ هذه المرحلة يكونّ الإنسان شغوف في الحياة محبّ لها بتفاصيلها، بعدّ نفاّذ الفكرّ يستقرّ في أعماقّ روح الفرد.

برودة الشتاء مثلّ أزيز الصمتّ تخلقّ فكرة شديدة الصلابة غير قابلة للكسرّ أو الخدشّ، اعتناق هذا الفكرّ والإيمان به أمر مطلق لا يمكنّ دحضهُ أو محاولة ترسيمّ معالمهُ بأي إطار مهما كانّ شكلّ هذا الإطار (مادي أو معنوي) فيّ خضمّ الرؤية النمطية الفردية عبر سلوكياتّ آنية نابعة من اللاوعي، خطورة هذه المرحلة بأنها نواة الفكر وأصلهُ وهيَ مصدر كلّ الشرور التي تُزرعّ في ذهنّ الإنسان غير إرادية الاختيار فغالبا ما يكونّ سائدا في الوعي الجمعي لها، وأقرب دلالاتها الفكرّ الجمعي الذي يقوم على أساس السلطة والقوة والشهوة والنزوع إلى التملكّ، والانسلاخ من تلكّ المفاهيم المغلوطة كأن ينكرّ الإنسان ذاتهُ ويرىّ فيها ذواتّ أخرى وحيوات متعددة لأشخاص غير معروفينّ.

تأثير متأصلّ في سلوكيات الفرد، أشبه فيّه إلى الرياح الباردة الشعور فيها يصيبّ الإنسان بالقشعريرة وتلاحمُ العواطف وزاحمّ الأفكار سيأّن، يستغرق انبثاق الفكرّ نفسّ القدر الذي يتطلبّ تجاوز ليلة من ليالي الشتاء الطويلة دونّ العودة إلى الذكريات الراسخة فيّ ذهنّ فردّ مصاّب بمرضّ الأسئلة والحنينّ للأيام التي كانّ فيها لا يفكرّ بأي شيء.

الهروب من الأفكار تصريح مسبقّ بالإيمان بها، فجذوة الإيمان القلب وهلاكّ القلب الأحاسيسّ، أنتّ تشعر أنتّ موجود، أعتى الأفكار نابعة من اللاوعي، تهجمّ مرارًا وتكرارًا دونّ سابقّ إنذار وأنّ عملية عودتها مره أخرى عملية مستمرة، ففيّ كلّ عودة تكونّ أشد ضراوة وشراسة، تتأدلج الأفكار وتتغيرّ بناءً على طبيعة الفردّ وسلوكياتهُ، في كل مره يغيرّ الفرد من آلية تعاملهُ مع الأفكار فإنّ الأفكارّ الكامنة في اللاوعي تهجمّ عليه هجومّ مختلف متغير في جوهره ليكُّن مقابلّ لهذا التغيير الذي أحدثهُ الفرد في نفسهُ.

نسف الأفكار هوَ تجسيد للانتحار الحقيقي، فإنّ أصلب الأشخاصّ همّ القادريّن على نسفّ كلّ تلكَّ الأفكار واعتناق أفكار جديدة تدعوا إلى بناء الإنسان والسعي للسمو فيّه نحو عالمّ أفضل يحققّ الخير، قبلّ أنّ تكون فردّ يجبّ أن تكونّ إنسان، المعنى الحرفي الوجودي المثالي لحياة أفضل يسودها العلم والخير، لأن الفردّ هوَ ما تصنعهُ الطبيعة من سلوكيات من خلال التأثيرات الناجمة عن الوعي أما الإنسان فهو الذات التي أوجدها الله (سبحانهُ وتعالى) وفطره عليها، وتأطير الذات بأفكار مادية إنسانية نزوع للتمردّ على الرؤية الالهية.

تتدفقّ الأفكار داخلّ الفرد منّذ خروجهُ من رحمّ والدته إلى أنّ يصلّ سنّ العشرون عامّ للفردّ السويّ، يجمّع فيها أفكار عديدة ومتناقضة في آنٌّ واحد، أشبهه فيّ ليالي الشتاء الطويلة بعدّ أنّ يخوضّ الفردّ هذا الصراعّ الطويلّ يركنّ للجلوس في زاوية غرفتهُ هادئ غير مبالي بكُلّ شيء حوله.

وكأنّ البرود أصابّ أعماقّ روحهُ وتجلى إلى مظهرهُ ليغدوا كائن آخر لا يعرفهُ أحد يشكّ فيّ كل شيء يصادفهُ، همّ قلة قليلة من الأفراد الذينّ استطاعوا أن يخرجوا أحياء من جحيم الفكرّ، لكنّ بجسدّ تغزوه التجاعيّد هائمين في الخيال عاشقيّن لتحطيمّ كُلّ فكرّ يعارضّ رفاهية الفرد بناءً على أعراف وعادات وتقاليّد ضالة أو أي فكرة تدعو للأنا الشخصي، متمسكيّن في المعتقدات الإلهية التي أرسلها الله (سبحانهُ

وتعالىّ) إلى البشرية من خلال الرسلّ كأن تكُنّ مسلم حقيقيّ تسلم فيّ كُلّ الحقائق التي جاءت في السنة النبوية الشريفة والقرآن الكريم، وما دونّ ذلكَّ هوَ دونّ.

عدمّ التسليمّ بتلكّ الحقائق الدينية مرضّ عضالّ، فإن الله خلقّ الإنسان للعبادة والعيشّ بهناء بعيدًا عن مكائدّ الشيطان (لعنة الله عليه)، شيطانّ الإنسان قابعّ فيّ شهواتهُ وحبّ السلطة والدعوة إلى الانغماس في الرذائلّ، فكيفّ لهذه الإرشادات أنّ تكونّ خطأ ومحضّ ترهاتّ في فكرّ شخصّ واعٍ يرى في الوجود فكرة تحققّ لهُ الخير.

ربيع الفكر مرحلةٌ نضجّ الأفكار وانتقالها منّ الفرد إلى المجتمع، بعدّ غرسّ الفكرة فإنّ شكلها يبدوا واضح المعالم في ذوات الأفراد، ملامحّ لطيفة مليئة بالبراءة في صميمها شرّ مطلق وكراهية لا متناهية الأبعاد، تغزوا الأفكار كلّ الذوات المحيطة للفكر الناشئ في طبيعة تعاملها معهُ، حقيقة الفكرة في ربيعة أدلجتها هيَ نتيجة مسبقة للشتاء الذي ولدتّ فيه.

نضجّ تكوينّ أصلّ الفكرة يتمثلّ في الخطوات الأولى في عملية أدلجتها من خلال تقبلّ تلكَّ الأفكار بأنها حقيقة مطلقّة يجبّ الركونّ إليها وضرورة عدمّ تخطيها أو تجاوزها بأي طريقة كانتّ، تتمثلّ الخطيئة في تجاوّز مثلّ هذه الفكرة راسخة في ذهنّ الفرد في داخل الكينونةُ المجتمعية.

عدمية الفكرة فيّ كلّ فكر مؤدلج إنكار صريح للذات الفردية، فلا يمكنّ الخروج من غياهبّ النفس البشرية ومآلاتها في إطار وجودها القيمي، عبر التأثير الناجمّ عن بعدّ الفكرة المجتمعية، تأصيل للرؤية المثالية المادية، وإن كانتّ الفكرة فيّ حد ذاتها نقيضّ لوجودها القيمي، الإيمان بها والتسليم في حقيقة وجودها أمر مطلقّ لمعايير الوجود التوعوي لها.

انتشار الأفكار فيّ هذه المرحلة مثلّ تساقط قطرات المطر، تكاّد ألا تتركّ بقعة في الأرض إلا وأنّ سقطت عليها قطرة من المطر، الهروب من

تلكّ الأفكار الباعثة للخطيئة من خلال الاختباء في المنزل، وهذا التأصيل كامنّ في السنة النبوية الشريفة، عندما قالّ الحبيب المصطفى محمد (صلّ الله عليه وسلم) فيّ آخر الزمان تأتيكم الفتّن مثلّ سربّ السحابّ (الغيوم) كرؤية فكرية تأصيلية أنّ على كلّ مؤمن أن يجلسّ في بيته ويحاولّ الهروب من هذه الفتنّ التي تكاّد أنّ لا تترلّ أرض إلا وأنّ دخلتها وغيرتّ فيها.

مظلَّة العلم حلّ آخر لتفاديّ الأفكار الضاَّلة، فإذا كانّ سقوط الأمطار حقيقة مطلقة فإن تفاديّ تلكّ الأمطار أمر طبيعي فيّ سلوكيات الفرد، إلا أن الأشخاص الراغبين فيّ استشعار جمال الطبيعة من خلال الوقوف تحتّ المطر للحصولّ على شعور رائع، ينطلقّ من أن الفرد قد خاضّ غمارًا طويلا في بحرّ الرذيلة والمعاصي، لتكُنّ الحجة التي قامّ بترسيمها تنطلق من رؤية مادية طبيعية نقيضّ لوجود الفكر بحدّ ذاتها، فإن الشعور الجميلّ الذي سوف يحصلّ عليه الفرد في لجّة تساقط الأمطار سوف يسبب للفردّ زكامّ شديد في اليوم التالي، فلكلّ فعل نتيجة مسبقة متأصلة في الفعل نفسه وإنّ كان الفعل يستساقّ من الفعل السابق فإن أسبقية النتيجة أحقية فعلية مطلقة في تجاوز الحدود لكلّ فرد يروّم إلى تفاديّ الحقيقة والإيمان بحقيقة مزيفة تلبّي الرغبات.

لجَّ الصراع في ربيع الأفكار، لأنها تتسمّ بالقوة والسطوة تدشنّ مرحلة الشباب، ما يعاّب على تلكَّ المرحلة التهورّ حيث أنّ الفرد يكونّ مغمور في شخصهُ ونفسهُ فيكاّد أنّ لا يرى سوى الحقيقة التي آمنّ بها دونّ السماح لنور الحقّ أن يدخل عليه، التعصب والغلو في الأفكار ينُمّ عن الطيشّ الذي يعيشهُ الفرد في مرحلة تكوين الوعي، الهادف إلى الاصغاء لكلّ الأفكار ومحاولة تقبلّ كلّ فكرة بأنها فكرة وجودية بغضّ النظر عما كانتّ عليه ماهية تلكَّ الفكرة.

مرآة المرء نفسهُ، يرى ما هوَ حقيقي من خلال الحقيقة التي يعتقدّ بها حقيقة مطلقة وإن الخطيئة هيَ ما يعارضّ فكرة الفرد بعيدًا عن

ماهية الخطيئة، الإنسان يرى الأشياء من منظور النسقِ الذي يعيشّ فيّه فلا خطيئة ولا صلاح مطلق يسودّ المجتمع، كلّ ما يراهُ هوَ نسقّ وجودي للفرد، الأوهام هي تجليات مادية في ذهنّ الفرد، الوهمّ في فكرة فردّ هيَ حقيقة في ذهنّ فردّ آخر والحقيقة التي يؤمن فيها هيَ خديعة في اعتقاد شخصّ آخر، التسليم فيّ أن الواقع يجسدّ ذواتّ متناقضةّ وإن الإيمان بفكرة الفردّ من عدمهِ هيَ طبيعة سلوكية في فكر الإنسان فيّ إطار الأفكار المادية التي يتأثر فيها، هنالكّ من يرىّ الحبّ نابعّ من الكراهية وهناكّ من يرى أنّ الكراهية نابعة من الحبّ، اختلاف رؤى في ترسيم وجود الإنسان فيّ إطار بشريّ محدود الفكر.

تتوالى الأفكار في الصدام في مرحلة نضجّ الفكرة، إيلاجّ الفكرة في ذهنّ الفرد بسبب الصدامات العنيفة التي تستنزفهُ مرارًا وتكرارًا، تعاقبّ الزمان يدفعّ الإنسان إلى تقمصّ حبّ الانكفاء على الذات، فما أمنّ فيّه والدكّ يمكنّ أن لا تؤمن فيّه وما تراهُ عائلتكّ صلاح وهدايةً لكَّ هوَ حريقّ نشبّ في داخلّ روحك، نمطية الرؤية الحديّة في مضمونها الوجودي الماديّ تأصيل لخلاف كامنّ في ثنايّا الروح، سلوكيات راسخة في كينونة الفرد ازاء التغييرات العنيفة التي تحدثّ في إطاّر وجودهُ الوحدوي، الأفكار التي تنتقلّ من شخصّ إلى آخر تؤدلج الفكرة بناءً على رؤية الفردّ الدينية أو المادية الأخلاقية.

الوازعّ القيمي أثر بالغّ في تصرفات الإنسان في محيطهُ المؤثر، فقد يرى أن العالم محضّ تناقضّات، إنّ ماديّ الفكرّ رافضّون للفكر المثاليّ المناديّ بالعودة الدينية لأنها تُمثلّ عودة الإنسان إلى التعاليم الإلهية، ناكرًا الفكرة والإيمانّ بها هيَ تخيلاتّ يتصورها الإنسان في ذهنهُ.

اللاوعي هوَ المسيطر على الفردّ في هذه المرحلة، الانجراف إلى الإيمان المطلقّ بناءً على أي فكرة بعيدًا عن ماهية الفكرة ومسألة الإيمان بها، دون تنقيحّ لتلكّ الفكرة من الشوائب التي تعتريها، وعليه فإن اللاوعي يهيمنّ على أفكار الأفراد في هذه المرحلة، تمثلّ المنطقة الرخوة في فكر الإنسان شديدة الحساسية والأكثر صلابة فيّ آنٍّ واحد.

خريف الفكر مرحلة تفاقم حدةّ الصدآم بيّن الفكرّ الناشئ والفكرّ الراسخ في مضامينّ المجتمع، الدعوة إلى اصلاح ديني من خلال نقدّ مضامين التعاطيّ للفكر الديني المادي على سبيلّ المثالّ يلاحظ أنَّ الأفراد يؤمنون في المشايخّ ويطيعونهمّ طاعة عمياء دونّ دليل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة (فكر صوفي) كأنّ يكنّ هذا الشخصّ أتىّ بموثقّ من الله في طرحّ الفكرة واستساغتها في داخل المجتمع.

كماّ لم يكُنّ فإن رئيس القبيلة هوَ الحاكمّ الناهيّ في تفاصيلّ حكم الإنسان لذاتهُ في محيطهُ، فما يراهُ هوَ حقيقة مطلقة يجبّ التسليم بها وعدم التمردّ عليها، الأقوال والأفعال مقدسة، قدسية مادية رئوية الاتجاه تقومّ على فكرة الازدراء منّ وليّ الأمر وما يرى فيهّ خيرّ للأمة الإسلامية، فإنّ الطاعة هنّا بدعة زائفة اختلقتها البشرية للنفاّذ بالخطيئة نحوّ عالمّ مثالي، ضعفّ تأصيل الدين (فيّ المضمون) ناجمةّ عن ضعفّ الوازع الدينيّ الداعِ إلى إيلاجّ مجتمعّ يحكمّ بشرع الله (سبحانهُ وتعالى).

سيادةّ الأفكار المادية على التعاليمّ الإلهية نتيجة للجهلّ الكامنّ في روح المجتمعّ، فقدّ تكونّ الأفكار بحدّ ذاتها محلّ نقيضّ لكنّ الملاحظ هوَ الخطيئة في الممارسة، فهناكّ من يرىّ أن رئيس القبيلة فكرة وجودهُ تقوم على أساس تحقيقّ رفاهية المجتمع إذ يلبثّ فيّ حلّ مشاكل الأفراد بناءً على العادات المتوارثة من الأجداد إلى الأفراد، الوهنّ ظاهر في تجليات صور التطبيقّ الفعلي للموروث الاجتماعي.

كأنّ يكنّ من قتلّ فرد لا يحملّ الوزر وحدهُ في تكميم الرؤية الإنسانية، إنما تحملّ قبيلتهُ أو العشيرة كافة التبعاتّ، فيما أن الدين أو الرؤية الإسلامية تنطلق في تشريع العقوبات على الأفراد وحدهمّ فكلّ فرد يقوم بارتكاب الاثم ينفردّ فيه ويحاسبّ عليه دونّ وضعّ هذا الوزر على الأفراد الآخرين من عائلتهُ أو عشيرتهُ، من مبدأ تشريع العقوبات في تحقيق الجزاء الفعال في أطر المجتمع.

القبلية ترفضّ هذه الرؤية الدينية من منطلقّ أنّ صلة القرابة تحققّ الأنا الشخصي، فكلّ شقيق يدافعّ عن شقيقهُ وإنّ أخطأ، رؤية مقتصرة

على نفسها وإنّ كانّ من الصواب أنّ الشعور كامنّ في ثنايا النفس البشرية، إلا أن الحقّ متبوع لصاحبهُ ولا يمكنّ الانزواء من هذا الحقّ وفقّ أي رؤية مادية أصلتّ هذا الحقّ أو منحتهُ بعدّ قيمي.

التفسيراتّ الدينية للنصوصّ الشرعية من خصائصها الشمولية والمرونة، لكنهّا محكومة على ذاتهاّ إنّ كانّ التفسيرّ من أشخاصّ يؤمنون فيّ الغلبة الاجتماعية هيَ الفكرة المثالية، ترى في أي وعيّ داعٍّ إلى النهوضّ في المجتمع الذي تسودّ فيه هوَ تهديد مطلقّ لأذوناتها، التسليم في تلكَّ المنطلقات المادية هرطقة انسانية ليسّ لها وجود.

الدعوة إلى أنَّ يكنُّ المرؤوس للجمعّ في أي بيئة اجتماعية ذوّ علمّ ودراية في العلوم الدينية والطبيعية، الهدف منها ترسيمّ معالم طريقّ الإنسانية نحو الصلاح والهداية لأجل تفادي أي رؤية مقصورة تنطلقّ من الفرد إلى المجتمع أو تحدثّ فكرة عكسية تهدمّ قيمّ الفرد أو يتمّ اقصاء وتهميشّ أي فكرة مضادة لكينونة المجتمع للسيرّ في تلكَّ الأفكار نحو فنائها.

تنقيح الأفكار بناءً على القوة والسطوة، عندما لا يستطيع الفردّ أن يصمدّ أكثر من هذا الصمود الذي عاشهُ يبدأ فيّ الاقتناع أن الفكرة التي آمنَّ فيها تسببّ لهُ الضررّ لذلكّ يعملّ على التخليّ عنّ الفكرة التي آمنّ فيها وإنّ كان التخليّ يمتثلّ في الصور الظاهرية للفكرة، وإنّ كانتّ القناعات هيَ نفسها ولمّ تتضرر فإنّ الضرر الأكبر يقعّ في داخلّ الفرد نتيجة عدمّ رؤية التأثير الذي سعى إليه.

تسقط الأفكار مثلّ سقوط أوراق الأشجار في فصلّ الخريف، مسائلة وجودية متجذرة في ماهية الإنسان، يتغير الإنسان للحدّ الذيّ يرى فيّه أنّ هذا التغيير كان لابدّ أن يحدثّ منذ زمن طويلّ، فإن وجودهُ هوَ الخطوة الأولى للتخلصّ من أعباء الحياة التي عاشها.

لكنَّ من العيوب الكامنة في هذه المرحلة أن الإنسان يجبّ عليه أن يتخطى هذه الفترة بأقل الأضرار لأنَّ لها نتائج وخيمة على فكرّ الفرد،

وعليه أن يؤمن أنّ كُلّ فكرة يجبّ أن تستمر في العيشّ وإنّ كان وجودها فكريًا عبر الاختباء في غياهبّ الروح، عودتها المادية هيَ مسالة وقتّ فقط تحتاج الوقتّ لاجتياح الفكر المادي الساعي إلى ترسيخ الرذيلة كمفهوم مجتمعي قيمي وجودي.

يلوّذ الإنسان إلى اللاوعي عند احتدام الصراع في كينونتهُ، لا مفرّ منها لمواجهة الأفكار الضالة وإنّ حدثّ مثلّ تلكّ المواجهة فهوَ أن يواجه الفرد مخاوفهُ فيّ مجتمع رافضّ لفكرهُ، طعنّ في أسس أفكارهُ، فإنَّ المواجهة قد تكون في الهروب من المواجهة، مواطنّ القوة تبرزّ في الضعف الذي كان يعتريّ المجتمع أو الفرد فيّ آن واحد، الإقصاء والتهميشّ سمة العالم فيّ هذه الفترة، عند أول كلمة ينطقّ بها الفردّ سوف تؤول إلى نبذهُ، الرفضّ نتيجة سخطّ ذوّ القرار، فمنّ يحكم المجتمعات التي تعاني من سيادة الجهل هيَ الرغبات (الشهوة)، فهناك شهوة السيطرة وشهوة الأنا وشهوة السلطة وشهوة الجاّه وأدناها الشهوات الجسّدية.

مثير للدهشة مثلّ هذا السلوك الإنساني، أنّ ينغمس الإنسان في سلوكيات حيوانية هذا الانغماس يعد تأصيل للبحث عن المعنى، فإنَّ المعنى هو الهدف الأسمى للكائن البشري، لتبرير أفعالهُ في عالم وحدوي وجودي يروّم فيّه لتحقيق مصلحة العوام (الناس أجمعّ)، إلا أن الأصل في تلكَّ المساعي هي أهداف فردية.

صائف الفكر هيَ المرحلة التي ينتصر فيها الفكرّ على الفكرّ المضاد لهُ في الحدودّ المكانية أو الزمانية للصراع، فبعد أن نشئ الفكر وتأدلج واحتدم فيه الصراع، وتظهر المادية التاريخية حقيقة واضحة في منح تفسيرات منطقية لنهاية الصراعات في داخل المجتمعات.

مخلفات الفكرّ الخرابّ في المباني العمرانية، مخالفات مادية لا تؤثر في وجود الإنسان بقدر ما تؤثر المخلفات الفكرية كتأثر ناجمّ عن سقوط المنقذ (الوعي) بسبب ضعف الإدراك الناشئ عن أجهلت الأفكار والسعي إلى تشويهها.

الاختباء في ظلّ المباني العالية أو اللجوء إلى الاعتكاف أو الجلوس في المنزل بسبب ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف شأنها شأنّ الفرد السويّ الهارب منّ الظلم الذي سيتعرضّ لهُ بسبب الإيمان الخالصّ في عقيدة سلمية ترفضّ أو هي محلّ ازدراء من الفكر المضاد.

فقد يخسرّ الفرد معركتهُ في المجتمع لكنّهُ ينتصر في تفاصيلها، المحاولة للتغيير نصرّ عظيم ينالهُ الأحرار في داخل المجتمع، الهدف من هذا الصراع إيلاج وهنّ يضعف من سطوة الفكر الثانِّ، الفوز في أن تخرج حيًا سليمّ الفكرّ والمعتقدّ منّ داخل مجتمع متشبع والرذيلة.

ترويضّ النفسّ على تقبلّ الهزائم وعدمّ السماح للشيطانّ ومكآئده أنّ يبثّ الضعف في داخلّ النفس، فإنّ الفردّ أقوى من أي كائنّ في الوجود الذي يعيشّ فيّه وهوَ منّ يحدد ماهيتهُ، الهدوء والسكينة في المجتمع الرافضّ لأفكار الفردّ مطلبّ حتميّ لتجاوز العقبات، السير في الطرقات وبثّ الأفكار على قارعة الطريق من خلال زرعّ زهرة أو إماطة أذى عن الطرقات تعد أكثر جدوى من الأقوال التي لا نفع منها.

الدرّب الذي يسلكهُ الإنسان كأنّ يعتآد على السيرّ فيه سوف يعرفهُ، الإنسان يتأثر سوسيلوجيا بالبيئة المحيطة، نشرّ الفكرّ لا يتطلبّ سلاحّ فتاكّ أو ارغامّ الناس عليه، قد تكونّ كلمة حسنة في وجهة شخصّ حزينّ أو رفعّ همة ضعيف تكالبتّ عليه الهموم أو تقديم مساعدة دونّ طلبها من شخصّ محتاج، أن تشعرّ بأحزان الآخرين وتسعى لتخفيف وطأة الألم الذي يعيشونهُ ،عندما يفتقدكّ أحدهم في المجتمع الذي تعيشّ فيّه سوف تثور أفكاركّ بدلًا عنكّ أو عندما يذكركّ أحدهم في سرهِ وكيفّ أنتّ فعلتّ أي فعلّ يدلّ على أثارة الدهشة فقد أثرتّ فيّه وفيّ المجتمع ككلّ.

عندما تعلمّ أنَّ النفسّ هيَ مصدرّ كلُّ الشرور ولمّ تكبحّ جماحها حينها لنّ تسقط على وجهك إنما ستقع على ظهركّ ويكسرّ. إنّ لمّ تعملّ على تهذيبها في ذكرّ مساوئها، فإنّ نجاة الفردّ منّ هذا العالمّ تتجسد

من خلال الاستئثار بالماضي وما يحملّ من تناقضات وعبرّ ودورسّ وما آلتّ إليه من تأثيراتها على المجتمعات أو الأفراد حينها، وما أنت الآن إلا فردّ فيّ عالم هلاميّ لنّ يتوقف العالم من أجلك أو عليكَّ لكنّ أنتّ من يحدد وجودهُ، مع التأكيد على تهذيبّ النفس وتهويدّ جماحها، أعيّذك يا أيتها النفسّ بأنّ لا تجرؤِ وتتجاوزيّ حدودكّ، ففي تلكّ اللحظة ينساقّ الإنسان إلى العدم والمنفى.

فيّ وقتها سوف يعلمّ الفرد ما لهُ وما عليه في داخلّ المجتمع، وإنّ تغيير المجتمع لا ينزوي إلا أن يكون فعلّ فردي يؤثر من خلال سلوكياتهُ في المجتمع ولا يتأثر في سلوكياتهم، فإنّه يعلم ما لهُ وما عليه، ففي غياهبّ الروح حيوات تروّم لإيلاج فكر مادي تسعى النفس البشرية الغير قويمة أنّ تهدمّ أسس الوجود الإنساني عبر الشكّ فيّه وفي مضامينهّ.

الجزء الثاني:

المادية

(صدمة الوعي)

الولوج إلى الحقيقة تدشنّ رؤية فكرية واقعية في المجتمع المادي من خلال رفضّ الأفكار والدعوة لتغيرها، تنطلقّ من رفضّ الواقع الذي يعيشّ فيّه الفردّ ويرى فيه ثوابتّ باعثة للشرّ، التخلصّ منها ضرورة قصوى لبناء مجتمع مثاليّ واقعي يسمو بالأفراد داخل المجتمع الذي يعيشّ فيّه.

صراعّ فكريّ هائلّ في أعماقّ روح الفردّ، صدامّ عنيف بينّ أفكار تأدلجة وفق رؤية ذاتية وأخرى رفضتّ بناءً على رؤية مادية، تجليات الصراع في أعماق روح الإنسان تؤصل حالة من فقدان للذة الوجود تعدّ بمثابة تأصيلّ للبناء الثقافي والفكريّ للفرد، شتاتّ الأفكار تجعلّ من الأنسان خاوً من المشاعر والأحاسيس تجاه العالم المادي الوجودي والعالم المُتخيلّ فيّ آن واحد.

الفصل الأول:
رفض الواقع

الوصول إلى الحقيقة الملموسة أمر عسيرٌ يتطلبّ ملاحظة للواقع التجريبي والانطلاق منهُ، المعرفة في وقائع الأحداث في داخل المجتمع وعدمّ القدرة على الخروجّ منها بحلّ يوردّ فكرّ يدفع بالإنسان فيّ أنّ يتأمل بعظمة الله (سبحانهُ وتعالى) حيث يرى في أن الخلاصّ رهيّن أفكار الفرد نفسهُ دونّ غيرهِ.

الاعتراف بصعوبة الأمر أمر مُحببّ حيث إنّ الفكرةّ صعبّ إيلاجها في كينونة أي فرد مهما كانّ ضعيف الفكرّ، خاصةً أن الإنسان فيلسوف بطبعهُ وإنّ أظهر خلافّ ذلكّ، فإن السؤال فيّ الخلوات هوَ الفعل السائد إذ يتمثلّ فيّ بيّان أصل الطاعة الدينية لله (مثلًا)، تكمُنّ الطاعة من الإيمان الكامنّ في روحّ الفرد الذي لا يلاحظهُ الآخرين، يعزي أصل ثبات فكرّ أي فرد في المبادئ التي يتمسكّ فيها ويرى فيها الحق بينّ الروح والفكرّ طُمثتّ في مكانّ لا يدركهُ أحد بين الفردّ ونفسهُ عكسّ الصمود والقوة هوَ الانكسار الذي يتأصل في انكسار عزيمة الإنسان عند محاولة هذا الأخير تفاديّ قولّ الحقيقة التي يرىّ فيها تأصيل وجود الإنسان والمجتمع.

سمة المجتمعّ بالأيمان المطلقّ بالحقائق المزيفة التي يقولها أصحاب الشأن وإنّ لم يؤمنّ فيها الجمع، فأنّ هذا التسليم نابعّ من اللاوعي بهدف التخلص من الجدلّ الذي سوف يوروثهُ هذا الصراع في اعتقاد الفرد، الذيّ يرى أن لا خلاص لأي إنسان إلا من خلال التغافل والتجاهل.

التملقّ والكذب هيَ وسائل مشروعة لغالبيه المجتمع فيّ الوقت الراهنّ؛ إذ يرى الأفراد المتبوعينّ أن الكذب وتزيفّ الحقائق هيَ وسائل شرعية لتحقيق الغايات المادية اللحظية، هدمّ الأسس الفكرية المقدسة التي كانت مُبجلة ولا زالتّ محلّ تعظيم للأفراد الذينّ يفضلون المصالح الفردية الآنية على تحقيق المشيئة الإلهية.

معرفة الله في سلوكّ الأفراد، تجدّ الأغلب إنّ لمّ يكُنّ ينكرّ وجود الله فإنهُ يتغاضى عن تلكّ المعرفة، فقد أضحت الرؤية الدينية فيّ تلاوة

القرآن الكريم دون الغوصّ في تفاصيلّ القرآن والشعور بعظمة خلقّ الله وإن السنة النبوية أضحت هيَ تأصيل منقطع للفردّ بذاتهُ، فهو يأخذ ما يتناسب معهُ دون المحاولة لتفاديّ الحرام في الفعل والقول لأي فردّ من خلال التعاملات الفردية والجماعية لسلوك الفرد والمجتمع.

ألوهية الأفراد؛ يرى بعضّ الأفراد أنهُ حلّ محلّ الله جلّ جلالهُ (والعياذ بالله)، هذه الرؤية تنشئ بفعل تأثير المجتمع فيّه، فإنّ التعظيم آتٌّ من الأفراد لهذا الفرد كأن يكُنّ صاحبّ سلطة يحققّ منفعة لأي فرد يرغب في الحصول على أي أمر في المجتمع (لعاعة من الدنيا).

تجريب الواقع يؤدلجّ هاله من التناقضّ بيّن ما يؤمنّ فيّه الأفراد وما يقومونّ فيّه سرً وعلانية، جهلّ مستشريّ في كافة أركانّ الفرد الوجودية، أولجت تناقضات جمة، ترى في الواقع بعُدّ روحي ماديّ يحققّ مصلحة الفرد، تقييمّ الفرد لا يركنّ على العلم الذي يحملهُ إنما يرى في الفردّ مصلحة مادية تحقق رغبات الأفراد، المال يحددّ أيمان الأفراد (رؤية نمطية للفرد في المجتمع الحالي)، تبررّ أفعال الأفعال بناءً على قدرّ المال الذي يمتلكهُ هذا الفرد.

السائرّ بينّ الناس متأمل لحالهمّ يجدهم أقرب إلى الشيطان من الرحمن، جموعّ من الناس يعلموكّ كيفّ تعيشّ حياتكّ وتنفذّ خططكّ عبر تدليسّ الوقائع وتحريف الحقيقة بالأكاذيب، حشّد من الغرباء بلهاء أغبياء تحكمهم الشهوة والرغبات الدنيوية، ففيّ أول نقاشّ تجدهم علماء دينّ وكيمياء وفيزياء وفلسفة؛ إلا أنّ الحقيقة التي تكاّد أنّ لا تفتكّ عنهم هيَ أنَّ الجميع يكذب على الجميع ولا يعلمّ الجميع ما يرُيد الجميع.

يرون في أن الحياة التي يعيشونها هي حياة بائسة في خلواتهم، بئسّ هذا القوم وبئسّ السلطان، من اعتاد على الكذب ماتّ ميتة جاهلية، يبجلون الطغاة في وضح النهار ويبكونّ مثلّ النساء في أواخر الليل، يدعون الله في الشدة وينفضونّ عن خالق السماوات والأرض في الرخاء.

وكأنَّ الخلود سمة لوجودهم، الرياء في المال والطعام والشراب وحبّ الإشهار والتشهير وإنّ كانّ الجميع يعانيّ، جلّ ما ترغب فيه النفسّ يلبى

لها ما تريد، غذاء النفسّ التذللّ وردعها أما غذاء الجسد هوَ العلم، فإذا وجد جسّد دونّ علمّ فإنّ هنالكَّ نقصّ متأصل في سلوكّ الفرد المادي والروحي.

البراهيّن فيّ مضمونها المادي والمعنوي لا تستطيع أن تنتشلّ فردّ غارقّ في بحرّ الرذيلة، حُبّ الشهوات يدفعّ بالإنسان إلى تبرير أفعالهُ لتكُنّ مشروعة، الهدف من هذا التبرير تحقيقّ رفاهية الرذيلة؛ خاصةً أنّ في داخلّ جسّد أي فرد هنالكّ صوت خافتّ يصرخ بين الحين والآخر عندما يصرّ الإنسان على فعلّ الرذائل، أي التحايلّ على الضمير.

الإنسان على قيّد الحياة طالما أنّ ضميرهُ موجودّ ويشعرّ فيهّ، موتّ الإنسان ورثائهُ إلى مثواه الأخير عندما يموت الضمير، فلا سلطان أقوى من سلطان الضمير لا يمكنّ لأي إنسان أن يتجاهلّ هذا الصوت الذائّد عن الحقيقة المطلقة، ففيّ اللحظة الأولى لصمتّ هذا الصوت ينتقلّ الإنسان إلى الدونية، يغدوا حيوانّ مفترسّ، لا يميزّ بيّن الحقيقة والخيال وحق وباطلّ.

الازدراء من النفس ومقتها أشد المقتّ من الأفعال النابية على تهذيب هذه النفسّ، الفعلّ مناطّ بالفردّ وحدهُ لا مفرّ له من محاسبة النفسّ وتصحيح أعمالها والخروج بها من دائرة الأفعال المشينة، لأنّ الإنسان بطبعهُ إنّ لمّ يجدّ سلطة تُحدد سلوكهُ سوف يتمرد على منّ حولهُ ويعيثّ في الأرض الفساد، كأنّ يستعبدّ من حولهُ، الإنسان هوَ مرآة لذاتهُ فمنّ يسعى إلى نشر الرذيلة فإنهُ آثم قلبهُ قبلّ مدة طويلة من معرفة هذا السلوك عليه، لأن القلب مرتكز على الأفعال المناطّ بها الفرد، سلوكياتهُ تتحددّ في المفاهيم الراسخة في قلبهُ.

صلاحّ الفرد يقترنّ بصلاحّ قلبهُ، فإن كانّ الأيمان في القلبّ فإن القلوب هيَ تأصيل للاوعي تشعر بالأشياء قبلّ حدوثها، وعليه فإن للقلب عقلّ سارّ في بحور المعرفة، لأنّ الفكرة الباعثّة للتغيرّ يجبّ أنّ تطأ القلوب قبلّ أنّ تصلّ الشهوات إلى تلكَّ البقعة البعيدة عن الإدراكّ.

مقتّ الحالة التي وصلّ الإنسان إليها تنطلقّ من السؤال؛ فعندما يسأل الإنسان نفسهُ هل هوَ فعلًا هوَ أو هوَ الأيام، يبدأ في طرح الأسئلة لماذا الناس يغيرون الواقع ولا يتحدثون بواقعية، ولما سمة الوجود لديهم الكذب، فتجدّ أن الفرد يرفضّ كلّ شيء إلا نفسهُ وفي الواقع؟ وهو لم يرفضّ إلا نفسه في عالم رمادي.

صداع رهيبّ يتسربّ إلى داخلّ رأس كلّ فرد يفكرّ في كلّ ما مضى وما هوَ يحدثّ وما هوَ أتّ، الهروب من الواقع من خلال تخيلّ الواقعّ لكنّ هذه معضلة في حدّ ذاتها فإنها تؤصلّ بعدّ مادي وجودي لإنكار الواقع ضمنيًا للانطلاق إلى واقع مختلف في قيمه ذو أبعاد فلسفية ترى في كينونة المجتمع تقوم على فكرة الاختلاف في التعاطي مع المفاهيم، وإنّ وحدة المجتمع على فكرة مثالية لا تحققّ المكاسبّ المادية للذات البشرية النابية.

بعدّ أنّ عاشّ الفردّ لسنوات مديدة يدافع عنّ أفكار آمنّ بها أيمان مطلقّ، شدة الصراع سوف تدفعهُ إلى الدخول في أمرين تبعًا لقدرتهُ العقلية لتخطيّ ذلك، إما أنّ تكون حياتهُ باحثه للامعنى أو ساعً للمعنى، اللامعنى هوَ إنكار للوجود ككلّ في مضمونهُ وتفاصيلهُ، فيما أنّ المعنى متعبّ بحدّ ذاتهّ، تناقضّ الذوات يرهقّ الروح كثيرًا يجعلّ منهُ جسد خاويً من المشاعر والعواطف تجاه البيئة المحيطة للفرد أو أنّ الفردّ يسلمّ لكل الأفراد الرافدة في داخل كينونة وجودهُ ووجود المجتمع الذي يقبعّ فيّه.

أقسى صور رفضّ الواقع هو أنّ يصمتّ الإنسان تجاه أي سلوك غريب يحدثّ في داخل المجتمع، بغض النظر عن فكرة هذا الحدثّ دونّ الدخول في تفاصيلهُ وعدم الاكتراث لهذا الحدث، أن تعاقب الحياة بفرضّ الصمتّ على أسوء الأشياء التي تحدثّ في حياتك هيَ راحة عارمة للتخلصّ من لجّة الجدل وهذا هو تشريعّ يرغب الفرد من خلالهُ العودة إلى مرحلة ما قبل الوعي.

رؤية الأشياء التي تحيط بالفرد ما هيّ إلا جدلّ لا تمتّ للواقع بصلة، أن تكون شخصّ شديد الملاحظة في وسط جموع أغبياء فكرة تثيرّ الجنون، يذهب الجموع في نفس الطريق الذي رسمتهُ لهم رغباتهمّ لتجدّ كلّ فرد يرى فيّ وجودهُ لا قيمة تذكر، بالرغم منّ أنّ الإنسان كائنّ أنانيّ إلا أنهُ كائن حساس شديد التأثر إنّ كانّ هذا التأثر لهُ مردود يحققّ الأنا الشخصي.

لماذا أنا بالتحديد يحدثّ معيّ هذا؟ هو السؤال الوجودي لكلّ فرد فيّ هذا العالم يرى فيّ حياتهُ شقاء وتعبّ وأنهُ يستحق حياة أفضل من التي يعيشها متمرد على الواقع الذي يعيشه، الجميع يشعرّ بالظلم لكنّ لا يعملّ الجميع على رفع الظلم عنّ أنفسهم على أقل تقدير.

أقصى درجات الحب الإنكار فعندما يحبّ الفردّ ممنّ حولهُ فإنهّ يتأدلج نفسيًا لأن يتقبلّ المجتمع بعيوبهُ، منّ هنّا صاغّ الأفراد حاملّين الأفكار المنحرفة بثّ براثيمّ فكرهم في لجّة المجتمعات، ينقاّد الفردّ عرضيًا لا شعوريًا فيّ كينونة المجتمع، حقيقة الحبّ تتأصل في القبول والتسليمّ للمحبوبّ، فإنّ الحبّ محركّ للفردّ وقائدّ لهُ في داخلّ المجتمع، التقاضيّ عن الزيف الذيّ يحملهُ أي مجتمعّ منّ خلال ترسيخّ الأفكار فيّ ذهنّ الفردّ.

الإيمان أعلىّ درجاتّ الإنكار، فإنّ تؤمن بما ترىّ عينيكّ حقيقة مطلقة (رؤية مادية) هوَ تشريعّ لإنكار البعدّ الوجودي كتأصيل مادي، وإنّ كانّ هنالكّ اتفاق جامعّ على مفردة (الأيمان) لكنّ الاختلاف ينطلقّ منّ تطبيقّ مفردة الأيمان في معنى الإيمان الوجودي بالأشياء الموجودة في أطار المجتمع، فقدّ يؤمنّ الفردّ في فكرة لا ترتبط بالمجتمع الذيّ عاشّ فيّه طيلة حياتهُ هذا الأيمان مقصور للذات البشرية، حيثيات الرؤية الأصولية المادية أنّ الحكمّ المطلق إزاء الأحداث التي يتداولها الأفراد، ما يفسدهُ القلب لا يصلحهُ الفكرّ.

ديالكتيك الأيمان سمة الوجود المبهم في المجتمعات التي طالها الصراع لسنوات مديدة، الغالبّ فيّ تلكّ الرؤى أن الإيمان جامع للأفكار، فمن

ينكرّ جزئية فهو ينكرّ المجتمع برمتهِ، وهذا ما تتبناهُ الجماعات القبلية التي ترى في العادات والتقاليد الآثمة محلّ خلاصّ وجودي للفرد، إلا أنّ الفكرة النابية عن أسى التجاربّ الهادفة لإعلاء راية العدلّ والتسامح والمساواة ونبذّ العنصرية وبثّ روح المودة والإخاء ترى فيّ أنّ إنكار جزئية الأيمان المادي في داخل المجتمع هيَ من معالم وجود المجتمع عبر إيلاج تفسيراتّ منطقية رافضّة للأفكار المادية الرامية لهدم انسانية الإنسان في الوجود.

الطاعة مقيدّة للفردّ فلا يرى أن هناكّ أي خلاص من الأفكار المشوهة التي يرفضها الدين والعقل والمنطق في داخل المجتمع مستشريّ تمثلّ مرضّ عضالّ، فأنّ تكونّ منقاّد لأفكار أنتّ لم تؤمنّ بها ولنّ تؤمن بها بناءً على التأثير الناجمّ عنها في تحطيمّ الفردّ وتشويهه معالمّ وجودهُ في هذا العالم، هوَ تشريعّ عن صراعّ مادي عنيف يلوح فيّ الأفق، يشكلّ فردّ رافضّ للوجود الذيّ حلّ فيه.

كُلّ تساؤل لم تجّد عنهُ إجابه تقنع بها، هذا التساؤل سوف يذهب بكّ نحو الفناء المحتوم، كأنّ ترى شخصّ يحكمّ بما أنزل الله وفق الموروث الديني الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (سنة النبي عليه ألف الصلاة والسلام) يتلقى الأوامر من شخصّ أبله ومعتوهّ بناءً على العرقّ أو النسبّ، التفضيل في التجزئة والعودة الصحيحة إلى السننّ والرواتبّ التي تنهضّ بالفرد في دائرة محيطهُ الذي يعيشّ فيه.

الحمقى همّ الأكثر عنفًا عند حدوث عملية تبدلّ الأفكار في مجرى صيرورة المجتمع الفكرية، تجدّهم يدافعون عنّ جلادّ زنديقّ أهوجّ للحصول على مكاسبّ مادية لا تمثلّ تأصيل لوجودهم، لو تركوا هذا الأمر وحدثّ التغيير سينالون ضعف ما يأخذونه من الركون إلى هذا الموقف؟ هذا السلوك ظاهرّ في تصرفات الفرد نتيجة حبّ العبودية، حيث أن العبودية تعدّ بمثابة طبعّ يكسبهُ الفرد مع تواليّ الجور الذي يقعّ على الفرد، مما يجعلّ منهُ كائن مهيئ أن يتقبل أي فكرة يقولها سيدهُ

ويرفضّ ما يعارضّ مصلحة سيده، بناءً على فكرة راسخة في أن الخلاصّ مرهونّ في هذا الفرد الهلامي.

المجتمعات البائسة؛ مجتمعات تقبلتّ الحقيقة فيّ نشأتها ثمّ تركتها وذهبتّ نحو ابتداع الخرافات والأساطير التي ساعدتها فيّ ديمومة استمراريتها، كأنّ يكنّ صاحبّ الفكر هو المخلصّ المنقذّ لهذا المجتمع، فلا حدود تقفّ أمام هذا الفردّ، تستمد مكانتهُ وتكتسبّ من الدور الذي يضلع فيّه فيّ المجتمع، التمدنّ خطيئة ورفضّ نبذّ الفكر البشري المحدود وعدم اتباع التعاليم الإلهية إثمّ يعاقب كلّ صوتّ يصدح ضد هذه الفكرة.

ترجمات البؤس في أن الجميع يكذب على الجميع والجميع لا يرى في الجميع محلّ أمان، العداء كامنّ في تأصيل وجود الأفراد داخل محيطهُ الذي يعيشّ فيّه، تأييد الأفراد لصاحبّ السلطة لتقديمه وجبات الطعام الفاخرة، يذهب الجموع لسّد حاجتهِ من الجموع، هنا يجبّ أن تعلنّ البشرية حداد، ففي تلكّ المرحلة يتجلى العارّ في أعلى مراحلهُ فلا يكاّد أنّ ينفكّ عنّ الإنسان.

لماذا يأكلُ القويّ فينا الضعيف (رؤية فكرية)، وهلّ السلامّ لهذا الحدّ منبوذ، ولما يحدثّ كلّ ذلك في داخلّ المجتمع، وهلّ البؤس ناجمّ عنّ سعادة عارمة في كينونة شخصّ آخر، هيَ تساؤلات إجابتها في داخل كلّ شخصّ فينا وفق الرؤية التي يحملها من صدامات، كأنّ يرى أحدهم ذلكّ محض كذبة متأصل في ذهنّ الكاتب (أنا)، فيما أنّ هنالكّ شخصّ آخر يرى هذه الوقائع حقيقة مطلقة يجب التسليم بها (تابعّ ومنقاّد)، أما هناكّ من يرى أنّ الدعوة إلى تجديد بناء المجتمع أو المجتمعات بناءً على الرؤية الدينية الحقيقة بعيدًا عن خرافات (صوفية) أو نزعة عدوانية (إخوانية)، الذهاب إلى الكتاب والسنة والدعوة إلى إشاعة التسامح والألفة والمحبة هوَ الخلاصّ الوجودي للبشرية.

إيلاج مجتمع متكاملّ يتطلب وجود فرد مؤمن في مضامين أفكار المجتمع للخروج من ماهية البشرية المحدودة في قيّم وعادات وتقاليدّ

شرعت وتشرع بناء مجتمعات تدعوا إلى هدمّ فكرّ الفرد داخلّ المجتمع، كلمة من فردّ قادرة أن تغير مصيرّ العالم أجمع، يمكنّ قتلّ فرد في عامّ واحد أما اغتيال الفكرّ يتطلب ألف عام أو يزيد، روح الأفكار أكثر قوة من أرواح الأفراد تستطيع أن تعيشّ لحيوات مديدة.

الصمتّ فيّ حرمّ الجهل خطيئة، الابتعاد عن المحرمات من تجليات الموبقات، الداعّ للخيرّ ليسّ مثلّ المحبّ له، الفرق بينهما كبيرّ كأنّ تعبد الله خوفًا من النار أو تعبد الله لأنهُ الإله الذي يستحق العبادة، اختلاف رؤي يؤصل بعد أيديولوجي يمثلّ أبعاد وجودية تحققّ مصلحة فردية للفرد أخروية (غيبية).

التوقف عن السؤال هوَ الحلّ الأمثل للخروج من متاهة الحياة وتشعباتها، عند أول سؤال جدلي حقيقي يسقط الإنسان الجاهلّ في مستنقع الجهل الذي عاشّ فيّه، السؤال بالنسبة لهُ موت محتمّ يهدمّ معتقداتهُ المادية، التحذيرّ من السؤال هوَ تشريع للجهل في أنّ يسودّ في عالمهُ الخاصّ، الحقيقة وإنّ اختلفت من حيثيات المدلولات اللغوية أو الفكرية إلا أن وجود الحقيقة ثابتّ في العالم، كلّ فرد يرى الحقيقة من الركنّ الذي آمنّ بهِ لسنوات طويلة.

تحطيم الذات متعة عارمة في الوجود تتأصل في نسفّ كلّ ما كنتّ تراهُ حقيقة مطلقة، هوَ كذبة راسخه في لجّة الذات، يخشى الإنسان الحقيقة بقدر خشيتهُ من الموت، فإن الحقيقة تقتلّ الإنسان وتميتهُ ميته شنيعة، ألمّ الحقيقة يغزوا الجسد فلا ينفكّ عنهُ إلا بعدّ سنوات طويلة، ضريبة الجهل فيّ لحظة ندمّ تدمرّ الإنسان من الداخل، ليصبحّ خالٌ من معنى الوجود الحقيقي، الاندفاع نحوّ اعتناق معتقدات الآباء جهلّ مطلقّ دون دليلّ، النسبّ والجاهّ والسطوة لا تمنحّ الفردّ معنى وجودي حقيقي إنما تؤدلجّ منهُ تحفة مزخرفة أعاد بنائها من جديدّ، إنّ معرفة الله في وسطّ جموع ينكرونّ وجود الله في ترسيم الحقائق الدينية كوقائع حقيقة أضحت عادة لدى الأفراد يتوارثونها أبً عن جدّ، فمنّ يؤمن بالله عليّه أنّ يتبع ما جاء في القرآن الكريم (كتاب الله) والأحاديث

والروايات الصحيحة (السنة النبوية الشريفة)، أي محاولة للانسلاخ من هذه التعاليم هوَ رفضٌ متأصل في الواقع، وإنّ كانّ الداعّ إليه يرى أنّ المنطق كامنٌ في تفاصيلّ الوجود الفردي في دهاليز المجتمع المادي.

تخيلّ الحقائق مرضٌ عضالٌ فتكّ فيّ الأمم والمجتمعات على مرّ العصور، الدعوة إلى التجديد في المجتمعات التي طالها الجهل وانغمستّ في الرذيلة من ضروريات العيشّ الكريم، التجديد وفقّ الكتاب والسنة أمرٌ لا مفرّ منهُ للتخلصّ من يوتوبيا الأفكار الرامية إلى هدم المجتمع الإنساني في أقصى الشرق، ترشيّد مفاهيم المجتمع للخروج من بحوّر الجهل التي طالّتّ الروح الإنسانية، فالأصل في الاعتياد سابقٌ في تأصيل الاعتقاد، كأنّ تعتاد الأفعال دونّ الاعتقاد فيها هوّ أمر عسيرٌ فإنّ رؤية الاعتياد تستمدّ من الاعتقاد الراسخ في أعماقّ روحّ الإنسان.

رفضّ الواقع من خلال استقراء الوقائع والأحداث القابعة في روح المجتمعات وتدشينّ مرحلة إعادة البناء للمجتمعات المتُهالكة، بناء فردّ واحد هيَ خطوة قادرّة على بناء أمة كاملة إنّ الإنسان فكرة، فكلّ رفضّ دالّ على الخير رافضٌ للشرّ هوَ رفضٌ ايجابي كأنّ ترفضّ سياسة غلاء المهور فيّ زمن أصبحت الرذائل والمجونّ والفسقّ في متناولّ يّد أي شاب، من بابّ الاعتدال أن توضع سياسة تخلصّ الأفراد من مكآئد شيطان الإنسّ قبل شيطان الجنّ.

استجابة المجتمع لتلكّ الفكرة فيّ الوقتّ القريب وبالأمر اليسير أمرٌ بعيدّ المنالّ والوصولّ إليها صعب جدًا، تفاديّ الواقع والغوصّ في خفايا يجسد ظلام للخيالّ يدفعّ الفرد أن يكونّ غير عقلاني الاعتقاد والاتجاه والتوجه، لذلكّ تجدّ الفرد ينقآد عندما يؤصلّ بعد غير عقلاني يسيطر على الوعي، من مسبباتّ الوعي أنهُ يتأثر في البيئة التي عاشّ فيها الفرد داخلهُ فقد تقعّ التجربة على فرديّن متضادين من حيثيات الزمكان(المكان والزمان)، تجدّ أنّ أحدهم تأثر بالتمدنّ الهادمّ للقيم الإنسانية وآخر تأثر بالقبيلة وما تحملّ في طياتها من عادات وتقاليد فككّت الإنسان.

تمدُّن المدنّ أشد خطورة من القرى والأرياف، ففيّ الأول معرفة بجهال أما الثانية جهال بمعرفة، أنّ تكونّ عالمّ بالأحداث المحيطة وقادرّ على تجزئة المجتمع وتفكيكهُ هيَ رؤية مدنية تجعلّ من العلم والمعرفة يقود الفرد، بغضّ النظر عما يعاني منهُ الفكرّ الإنساني من قصور كامنّ في معالم وجودهُ، المنطلقات التي يقومّ عليها الفكرّ الإنساني في نقدّ العلم الالهي هوَ نقدّ مقصور في ذاتهُ ومضمونهُ فإنّ العناية الإلهية والعلم الإلهي شمُلّ كلّ شيء في الوجود، وهذا النقدّ هوَ نقدّ الإنسان لشيء يجهلهُ (عندما تسأل كفيفّ البصر من الولادة أنّ يصفُّ لكَّ اللون الأسود فإنّ هذا الوصف قاصرّ وواهنّ، فكيفّ؟ لشخصّ كفيفّ من الولادة أنّ يعرف الألوان ويميزّ بينها) وهذا مثالّ لتأصيل الرؤية المادية في النقدّ الوجودي المعروف فيّ وقتنا الحاضر للعالم وماهية هذا العالم، فكلّ تجليّ للمعرفة في هذا الإطار يقدمّ طروحات فكرية إنسانية تقوم على الملاحظة المباشرة للمادة.

العلمّ لهُ حدود أما الجهلّ فلاّ حدود لهُ مقولة شائعة بين الناس، إنّ العلم يبين للسائل مواطنّ قوتهُ وضعفّ البصيرة، ونزعة الإنسان الجاهل أنّ يرى الحقّ في كل قول يقولهُ وفي كل تصرف يخرج عنهُ، فما إنّ تعمقّ الفردّ فيّ هذا الشعور ما لبثّ إلا وأنّ سقط فيّ شرّ خطيئتهُ، الإنسان ملازمّ للخطيئة والدين (الاسلامي) يرتبط بالقداسة المتجذرة فيّه، فإنّ الركون إلى الأول تصريح بالاعتماد على الخطيئة وتدنيس الدين بالدسائسّ أما الأخذ بالثاني هوَ تشريع الخطيئة بقدسية دينية، فإنّ الحلّ الأنسبّ للخروج من لجّة الصراع بين الدين (العلم الإلهي) والخطيئة (الفكر الإنساني المحدود) يتمثلّ فيّ فصلّ الخطيئة عن الدين، أي عدمّ وضع اسقاطات على التعاليم الإنسانية (رجال الدين) والأخطاء التي يقعونّ فيها من خلال بيانها بأنها لا تُمثلّ الدين، لأنها تؤصلّ رؤية تابعّ للدين ولا يمكنّ أن يكنّ الدين تابع إنما متبوع (يؤخذ منهُ العوام «الناس» التعاليم الالهية)، هذا الفصلّ يطفئ الصراع ويلغّ وجودهُ.

تمدُّن القرى والأرياف خطرّ سابقّ في وجودّ مثلّت هذه الأفكار المنغمسة في أزقة القرى التي عاشتّ على الأعراف والتقاليّد طيلةّ سنوات، إنّ بثّ الشركّ والالحاد في هذه المجتمعات التي عانتّ من الجهل أمرّ سريعّ الوقوع، نتيجة الضعف العلمي في (التعاليم الإلهية) خطورة التمدنّ تتأصل في الشبهات الرامية إلى تدميرّ المجتمع والذهاب فيّه نحو الدونية.

سرعة تحولّ القرى (الأرياف) إلى التمدنّ دلالة على أنّ هنالكّ وهنّ فيّ مضمون الفكرة، تجدّ المجتمعات المحافظة على الأعراف والتقاليد (الايجابية) بدأت بالاندثار والفناء شيئًا فشيئًا وحلتّ محلها قيمّ ليسّ لها منّ الواقع بشيء، تبقى من الرجال (الأسماء فقط) وسآد المجتمع فكرة النسوية الداعية لتحرر النساء من خلال مزاولة العمل مع الرجال والرقصّ وممارسةّ الرذيلة دونّ خوف، تشريعّ لتجاوز الدين (رؤية فكرية رجعيّة للبشرية)، التطور يتمثلّ في أنّ يكونّ هنالكّ أمهات (عزباء) على سبيلّ التجربة، ومنّ هنا شرعية أصولية الفكر الإنساني أذونات للرغبة والشهوة في السيطرة على مقدرات البشرية ورؤيتها المادية الخاطئة.

ناهيكّ عنّ الازدراء من الدينّ والطعنّ في أصولهُ دونّ دليل دامغّ يؤصل البعد المادي للدينّ، وهذا العداء نابعّ من قصورّ الرؤية الذاتية للإنسان وما يحكمهُ منّ معايير مادية، السعيّ إلى تكميمّ الأفواه الصادحة بالحقّ وبثّ صوت الجهل في ثنايا المجتمع، للروح أصلّ وأنّ أصلها أنّ لا تتجاوز ممكناتّ وجودها، فإن الله (سبحانهُ وتعالى) خلقّ الإنسان في اختبار صعبّ جدًا، إنّ أكثر الأمور أعدُها حماقة أنّ يتمنى الإنسان أنّ يعيشّ في عالم مثاليّ هذا العالم بحدّ ذاتهِ نقيضّ للواقع الذي يعيشّ فيّه الإنسان في أواصر وجودهُ.

إذ يعدّ سيادة الجهل والظلم والأنانية تصرفات طبيعية قبلّ أن تكونّ منطقية وإنّ حققتّ ضررّ جسيمّ في داخل المجتمعات، لكنّ النظر بغيرّ هذه الرؤية يعدّ خروج من المألوف الذي اعتاد الناس عليه في حياتهمّ التي يعيشونها، أما الخير والمحبة فهيّ أفعال تتجلى فيّ الروح الإنسانية

التي تسمو بالفرد نحو عالم أخلاقي يساعد الفرد على العيش بطمأنينة ترى فيّ الإنسان محور وجودها وهذا نقيض المادية الطبيعية للنفس البشرية، ونقدّ الواقع لا يعني عدمّ الاعتراف فيّه والاعتراف بالواقع لا يعنيّ أنهُ مُسلمّ من النقدّ، فكلّ ما هوَ إنساني محلّ للنقدّ مهما كانّت درجة جماليتهُ.

قبلّ تكوينّ المجتمع كانّ هناكّ إنسان، فقد ماتّ الإنسان عند ولادة المجتمع المادي الإنساني القائمّ على حُبّ الشهوةّ والظلم وإقصاء الآخر بدافع الأنا الشخصي وتغليبّ الذات الفردية على الذوات الأخرى فيّ كينونة المجتمع المادي، فإنّ تفكيكّ الإنسان يبدأ عندما يبدأ الشعور بالخوف يتسربّ إلى داخل فكرّهُ.

الفصل الثاني:
تجديد الواقع

المعرفة هيَّ اللحظة الأولى للوعي، تدلوا المعرفة بتأثير النسقّ التبشيريّ الرئوي بعدّ الاعتماد على جمّة الفكرّ الراكدّ في أعماقّ المجتمع المادي، تحويلّ الآراء إلى أفكار عبر ترسيم الفكرة فيّ المجتمع بعدّ أن يتعاطى الفردّ الفكرة ثانويًا أو بشكلّ رئيسي، تضليلّ الفكرّ بالسيطرة على روافد المعرفة الباعثة للقيمّ لتأصيلّ الرؤى بجوهرها الأصولي المادي، المتمثلّ في توجيه العادات والتقاليد وكلّ ما هوَ قبليّ أو فكرة متمدنة فيّ سبيل خدمة الإنسانية.

تجريّد الأفكار من مبرراتهاّ وإيلاج عملية تساعدّ على بثّ روحّ الفكرة المضادة في صميمّ الفكر المضادّ كأنّ يكنّ الأيمانّ بها أمر مسلُمّ بهِ دونّ أنّ يشعر المجتمع أنهُ يتعاطى فكرة جديدة، الرفضّ نابعّ من المصلحة وتأثرها، وعليّه فإنّ الأفراد أصبحوا في هذا الزمان لا يميزون بيّن حقّ وباطلّ بقدرّ ما هوَ أكثر نفعًا للفردّ دونّ غيرهّ من الأفكار التي تهُددّ مصلحة الفردّ نفسهُ.

تحويلّ الصراعّ منّ صراعّ فرديّ مجتمعي إلى صراع فردي نفسيّ – نفسي مجتمعي يتدفقّ في ذهنّ الفرد دونّ أن يشعرّ فيّه يحققّ السلامّ للفردّ والمجتمع والدولة، الحكمة ليستّ بالتغييرّ الحكمةّ تتأصل في عملية إحداثّ مثلّ هذا التغييرّ مع تفاديّ الصدامّ المجتمعي، لأن الإنسان كائنّ مسعورّ عندما يشعرّ أنّ أحدهم ينتهكّ معتقداتّهُ.

الفكرّ فنّ قبلّ أنّ يكنّ علمّ تقوم عليه باقّ العلوم، المادية التاريخية دليلّ مستوحاة للتجربة العملية لولادة الأفكار بالقوة وما خلفتهُ من دمار للبشرية والعالمّ أجمع على حدّ سواء، الاعتقاد بالأفكار نقطة قوة الفكر ووهنّ الفكر في آنّ واحد، عودةّ الأفكار مسألة وقتّ للأفكار التي طمثتّ بالقوة، سطوة المادية تأصيلّ وجود للفكر فيّ عالمّ مؤدلج لعوالم أخرى، فكلّ فردّ هوَ يمثلّ عالمّ بحدّ ذاته، تتفاوتّ العوالم من فردّ إلى آخر فهناكّ عالمّ شديد الصلابة وقليلّ التأثر وعالم آخر هشّ ضعيفّ سريعّ التغيير وعالمّ آخر مؤثر في العوالم المحيطة، كأنّ يكنّ هنالكّ عالمّ

قائدّ وعوالمّ أخرى تابعة، فإنّ ضرورة الفكرّ تعملّ على التأثير في فكرّ القائدّ، يسهلّ ذلكّ إيلاج التأثير في باقّ المجتمع دونّ جهد يذكر.

التغذية العكسية للأفكار تهددّ وجود المجتمع ككلّ، فإنّ فشلّ انتشار الفكر يؤدي إلى موتّ الفكرة مما يدفعّ إلى إيجاد فكرة أخرى أشدّ خطورة وأكثر قوة تستطيع التكييفّ مع الفكرة الرافضة، مع البحثّ على نقاطّ ضعفّ الفكر الرافضّ للوصول إلى الحقيقة المطلقة للفكر بأنّهُ لا يوجدّ فكر منيعّ من التغيير جزئيًا أو كليًا، فكلّ ما هوَ انساني قابلّ للتغير والتحريف والتجزئة والمطلقّ فيّه هرطقة وجودية تأصيلية نابيّة عنّ الممارسات المادية النقدية للواقع الذي تطور عبر سنوات طويله بدحضّ الأفكار وإيلاجّ أفكار جديدة.

سلخّ الواقع من أفكارهُ من خلال بثّ روحّ الشبهاتّ في الأفكار التي يؤمنّ فيها والدعوة للتشكيكّ في تلكَّ الأفكار بعدما كان مؤمن أيمان مطلقّ فيها، صيرورة الأيمان هيَ نظيرّ للتجزئة من خلال تعاقبّ الزمان، وجودّ الفكرة وطمثها يتمّ باستقراء الحقائق الثابتة في ذهنّ الأفراد أن هذه الأفكارّ لها قدسية، كأنّ يرى أحدهم العالم مثاليّ أخلاقي يسودهُ الخير لأنهُ عاشّ حياة طفولة مستقرة أو آخر يرى أن العالم كتلة من الشرّ نتيجة تشوهاتّ البلوغّ.

يبحثّ الفردّ عمّا يكملهُ، تنتقدّ المجتمعات الأشياء التي تأملها وترى فيها خيرًا، الحقيقة التي لا تقتلّ المجتمع تتنج منهُ كيآن منيع ضدّ الصدمات والتقلبات الذي يعيشهُ العالم وإنّ كانّ على الأمد القصير، انزواء الأفكار إلى خانة الوجود المهم وانسحابها من الواقع التجريبي هوَ تأطير قياسّ مادي، يرى في الخلق بدعة والوجود خطيئة، تأصلتّ هذه الرؤية بناءً على الأفكار المشوهة لدى الفرد أو الأفراد الذينّ تعرضوا للظلم والاضطهاد منّ مجتمعاتهم.

الفردّ انعكاس للمجتمع ورؤية كاملة عنهُ، فما يخشاهُ المجتمع يخشاهُ الفرد وما يجهلهُ المجتمع يجهلهُ الفرد، علاقة تتعارضّ في الوجود الفرديّ

والمجتمعي الجزء هوَ الكلّ والكلّ مُقتبسٌ من الجزء، البثّ في التفرقة بينهما تأصيلٌ لهدم البناء القيمي المجتمعي الذي صمّد لآلاف السنين، الفردّ فكرة خاطئة أو صائبة فالمجتمع منّ يحددّ ذلكّ.

المجتمع قدّ يخلقّ إنسان متسامح أو ينتج شخصّ مجرمّ، البعضّ يرى أنّ العالم أخطئ في حقه عندما ولدّ في عالم لا ينتميّ لهُ ولا يشعر بأي رابط بينهُ وبين هذه البيئة التي ولدّ فيها سوى أنهُ نشأ منذّ نعومة أظافره فيها لا صلة تربطهُ فيها سوى التنشئة المجتمعية، الاضطراب والرفضّ نابعّ من عدمّ الأمان، وهذا الشعور راسخ في قيمّ المجتمعات التي يستشريّ فيها الجهل والرذيلة، فتكونّ الخطيئة مسوغّ ومبرر للأفعال دونّ النظر عن ماهية الأفعال ولواحقها المادية والقيمية في البناء الثقافي للوجود.

تأطير الوجود فيّ القياس الكامنّ في لجّة الروح البشرية الداعيّة للتغير في كلّ تفاصيلهُ وما يحكمّ هذا التغييرّ من أصول أخلاقية وغيّر أخلاقية، إنّ حدثّ التغيرّ في أي مجتمعّ من المجتمعات يجبّ أن يتمّ من خلال أطر أخلاقية إنسانية لا تنتهكّ المعايير الإنسانية للفرد فيّ الوجود المادي، كأنّ يؤدلجّ مجتمع على نبذّ التطرف والغلو في الأفكار، حتى التطرف في الحبّ مؤذيّ يتجاوز الإرادة الخاصة للفردّ وينتقل إلى الإرادة العامة للأفراد في البيئة الحاضنة للأفكار، عدمّ تقبلّ الآخرين والازدراء منهمّ يتأصلّ في المعنى النفسيّ فيّ السلوكّ الإنساني، تصورّ الحقيقة ليسّ مثلّ الأيمان فيها فإنّ الإيمان جزء تفصيلي يؤثر على السلوك الفردي المجتمعي.

تخطيّ فكرة الوجود المادي القابعة في المادية التاريخية هيَ الخطوة لتجديد فكرة المجتمع للتخلصّ من الأفكار السامة الهادمة لحرية الفرد عبر الحججّ التي تبررها السلوكيات البشرية مثلّ الحظّ للحصولّ على المكانة الاجتماعية أو القيمية الثقافية في داخل المجتمع، منّ يقيدّ حرية الفردّ يرى فيّ أنّ هذا التقيدّ فعلّ شرعي ينمّ عن الخيرّ للفرد نفسهُ إلا أن الواقع يلاحظ فيّه أن استمرار سطوة الجهلّ بالتضليل وتزيفّ الحقائق، أما الحظّ فهو كرؤية مادية لا وجود لهُ وإنّ كان لهُ وجود فهو أمر نسبيّ

جدًا، فإن الوصول إلى الهدف من أصول العمل(رؤية دينية)، الإله (الله) لا يدفعّ العبدّ لتحقيق الرزق إلا بعدّ أن يقترنّ هذا الرزقّ بالسعيّ (العمل)، فلا إيمان دون عملّ ولا عملّ من دون إيمان (مادي أو ديني).

تفضيلّ المكانة الفردية على الرؤية المجتمعية، التركيز على الفرد بأنهُ كائنّ وحدوي في وجودهُ المادي، الحرية المضبوطة فيّ القياس الوجودي الحقيقي هو بعدّ تنظيري رئوي لترسيمّ خططّ الأفراد والاستفادة من تلكّ الأهداف في بناء المجتمع.

الدور الفعالّ يتأصل بالتجردّ من الرؤى الآنية (الوقتية) والسعي للوصول إلى الهدف الأسمى المتأصلّ في مضامين سلوكيات الفرد الوجودية كقيمة حقيقة انسانية، حيثّ يتأثر الفردّ طرديًا في العوامل المحيطة فيّه داخل البيئة التي يعيشّ فيها، كأنّ يتأثر في سلوكياتّ عائلتهُ من حيثيات التعاطي مع الواقع، فإنّ الابن هوَ نتاجّ أبيةّ غالبًا في الفكرّ والفتاة هيَ انعكاس لوالدتها من خلال تأثير السلوكيات لأنهم يمثلون المصدر الأول للأفكار التي يكتسبها الفردّ، وعليه فإنّ الطاعة للوالديّن ترتبطّ جدلًا في الأفكار التي غرسّها الآباء في الأبناء.

الأب رافدّ لفكرّ الابن وعليه فإنّ أدلجة الفردّ أمر غير سليمّ، السيرّ نحو المصدر والسعيّ لتخطيّه من خلال وضعّ استراتيجية خفية تستهدف مصدرّ الفكرّ للتأثير في معالم الفكر، التغيرّ الكامنّ في فكرّ الأب محلّ تبجيلّ وقداسةّ لدى الأبناء المتأثرينّ بهذا الفردّ.

نسفّ المقدسات (المادية الإنسانية) مصدرّ تشريعّ الأفكار الإنسانية التي يُستمدّ منها العادات والتقاليدّ والقيمّ القبلية أو حتى المصادرّ الأخرى لأفكار الآباء على الأبناء، استمالت القوة في تحقيق الوعيّ الجديد يدفعّ لرفضّ كامنّ في الفكر المجتمعي الجمعي، فإنّ الرفضّ حالة منطقية والإقصاء متوقع، طريقة تفتيتّ الأفكار تتأصل في اللاوعي قبلّ الوعي الجمعي للفكرّ المادي الذي يعدّ مثلّ هذه الأعمال هيَ كفرّ مطلقّ في أصولية المجتمع القبلي العشائريّ الذي يرى في أكذوبة شيخ العشيرة

أو رئيسّ القبيلة قبل (100 عام) بأنّ هذا الفردّ يعرف ما هوَ إلا خيرّ للبشرية والغريب في الأمر أنّ هذا الرجلّ هوَ ليسّ برسول من عند الله (سبحانهُ وتعالى) ولمّ يأتيّ بمعجزات تدعم رؤيتهُ للوصول إلى المعرفة المطلقة فيّ هذا الشأنّ.

سلوك غريب أن يؤمن المجتمع بأفكار شخص لم يعرفوه ولم يلتقوا به ، وفي نفس السياق يتمردون على التعاليم الرامية للنهوض بالواقع الذي يعيشون فيه، يعد هذا منّ قبيل جمع الأضداد، حيث أنّ استعباد الأفراد هيَ إرادة فردية يذهب الفردّ بمحضّ إرادته، لم تعهدّ البشرية استعبادّ قسريّ للأفكار، فكلّ منّ أردّ فكرة آمنّ بها وإنّ كان الظاهرّ هوَ إيمان فرديّ ينبع من الحرية المطلقة إلا أن الإيمان فيها يتأصل في التأصيل الناجمّ عن الوعي الجمعي فيها دونّ أن يكونّ للفردّ إرادة فيّ هذه الفكرة أو استساغتها وأي محاولة للخروج عن هذه الفكرة بمثابة خطيئة، لذلكّ يجبّ تجديد الأفكار قبل أن يكنّ هنالكّ تجديدّ للأفراد، قبولّ المتضادّ نتيجة الاعتياد على الضّد، تسربّ الأفكار إلى داخل المجتمعات دونّ أن يشعر المجتمع فيّه منّ أخطر.

هذه الأفعال تفسيرّ لسلوكيات الانعزال التي يتبعها الفردّ فيّ داخلّ المجتمع، فبعدّ أنّ كانّ الفرد فاعلّ وحدوي مؤثر في نشأة المجتمع وتطوره أصبح الفرد عنصرّ تراجع ديمومة استمرار المجتمع، بسبب السلطة المطلقة التي منحت لبعضّ الأفراد على باقّ الأفراد، مما أدلج فكرة عن عدمّ الرضى بالواقع وعدم القدرة على الوصول للمجتمع المثالي الذيّ ينالّ فيّه الفرد ما يستحقهُ، بغضّ النظر عن هذا الكيانّ بتفاصيلهُ فهو يتجذر تدريجيًا في ترسيمّ الوعي الجديد للفردّ ليكنّ رفضّ هذا المجتمع والسعيّ إلى إقامة مجتمع جديد يرى فيّه المتأثر أحقية وجودية يجبّ أنّ تحدث.

انغماس الأفكار في ذوات الأفراد تظهر على الأفراد (الأبناء)، ليبدأ عصرّ جديد يرى في الماضيّ سبب في تراجع فرد الجيل السابق (الأب)،

ديالكتيكّ الصراعّ مسألة حتمية الحدوثّ في لجّة التناقضّ القابعّ في سلوكيات الفردّ بفعلّ شعور الحرمان الذي عاشهُ الفردّ أو اعتقدّ به وهو ما يسمى دنفّ الأفكار.

حالة من اللامعنى تصيب الفرد فيّ كلّ مرة يُريدّ الخروج منها يعود إلى ما كان عليّه هذا الفرد منّ رؤى وأفكار سيطرة عليّه، بالرغم من رفضها وعدمّ تقبلُها إلا أنها تؤثر فيه بسبب الأفعال الناجمة عن اعتناقّ مثلّ تلكّ الأفكار مما يؤدلج هلوسة فكرية تصيبّ الفردّ بالصداع المميتّ، لا يهدي الألم أو يكنّ أقل قسوة إلا بعدّ أن يسعى للتصالح مع تلكّ الأفكار بأنّ العالم تغيرّ إذ لا يمكنّ لتلكّ الأفكار أن تستمرّ في الوجودّ لافتقارها أسباب الوجود الحقيقي، وما انطلقتّ منهُ هرطقة وآنّ الأوان للتخلصّ منها، بالرغم ما لهاّ من مكانة في داخل الفردّ من عواطفّ تسعى للتأثير عليّه لأن الفكرة الخاطئة هي فكرة شريرة لا يجبّ الأيمان بها، فكلّ فكرة تجعلّ حياة الإنسان بائسة هيَ فكرة هادمة للإنسانية قبلّ الفرد.

الخوف والحزنّ هوَ المسيطر، فلا يعقلّ أنّ ينسفّ الإنسان كلّ ما آمنّ به دفعة واحدة وإن كان هذا الإيمان مادي (في الأعراف والعادات والتقاليد)، وعليه فإنّ حكمة الله تجلتّ في أنّ لا أعيشّ في الفترة التي جاء بها الرسول محمد (صل الله عليه وسلم) فإنّ إيماني حينها بصدقّ النبوءة أمر يحملّ الرجحان، نزعة إنسانية دونية، لكنّ تأدلج الأفكار التي حاربتّ الإسلام وجعلتّ منهُ حقيقة ثابته في العالم أصلتّ اعتقاد أصولي يحققّ بعد مادي وقيمي للدين الإسلامي، أنا مديّن لله (عزو جل) لم يحبّ الله أحد مثليّ، شعور الدهشة يغمرنيّ، وكأنّ السعادة التي منحها الله ليّ لمّ يمنحها لأحد.

تقريبّ الواقع وإبعاد الخيالّ هوَ إيمان في المادة قبل الفكرة، العودة الى الله واتباع ما أمر به رسولهُ الكريم محمد (صل الله عليه وسلم) هوّ الأصل في التجديد والمنطلق الذي يقوم عليه، فلا وجود لأي شريعة أو فكرة مادية يمكنّ أنّ تضاهيّ الرؤية الشمولية للديّن الإسلامي وما جاءت

به، إنّ الله إذا أحبّ عبدّ ابتلاه، اعتقد أنّ حُبّ الله ليّ في الشقاء الذيّ أعيشّ فيّه.

الحُبّ لغة الجمآل وسيادة المجتمعات تقوم على فكرة الحبّ، الحب هوَ أنّ تتقبلّ الاختلاف الناشئ بالمجتمع بأنهُ حكمة وجودية مادية أوجدها الله (سبحانهُ وتعالى) لبثّ روح الالفة بينّ الحبيبّ ومحبوبهُ، فلا قياسّ يمكنّ أن يخضعّ لهُ أي مجتمع وينجح منّ دون وجود صيغة ارتباط تجمعّ المشتتّ وتفرقّ الجمعّ، الفكرة التي تجمع أفراد المجتمع وتفرقهمّ هيَ المصلحة وما تحققهُ للأفراد في كينونة المجتمع فيّ ترسيمّ الطريق للذوات بهدف انبثاقّ الروحّ كتعبيراتّ جمالية في فنّ لغةّ الحُبّ.

الهروبّ من الحُبّ وقوعّ فيّه، الأفعالّ التي أرغمتّ على فعلها عندما كُنتّ صغيرًا سوف تعشقها جنونًا عندما تتقدم في العمر كأنّ تكنّ ناقدّ للعلم والمعرفة وناقمّ للقراءة، تأدلج الزمانّ يدفعّ الفردّ نفسانيًا للعودة إلى الماضيّ والهروب إليه بفعلّ التغيير الناجمّ في وسطّ السواد الأعظم، حُبّ القراءة ادمانّ خطير، يذهبّ فيّ الفردّ الدخول في عوالمّ تؤدلج حيواتّ تكآد أن تلغِ وجودهُ في العالم المادي، الغارقونّ في العلمّ همّ الأكثر سعادة، نفادهم من هذا العالم ديناميًا يرتبطّ بأواصر وجودية تجسدّ بعدّ حتميّ مجهول للذوات المنقآدة، الخروج من الذات إلى الذوات الأخرى من خلال العلم لأجل البحثّ عن عالمّ مثاليّ أخلاقي وإنّ كانّ هلاميّ يجدّ الفردّ فيّه ضالتهُ بعيدّا عن الفكرّ الإنساني الهادمّ للفرد والوجود.

للمجتمع صور عدة تتأثر فيّ الفرد وتؤثر فيّه طرديًا، من أسمى الصورّ التي تسعى المجتمعات إلى ترسيخها فيّ ذهنّ الأفراد هيَ التسامح لخلقّ تعايشّ بيّن الأفراد دونّ النزوع إلى الغلو، تقدمّ المجتمعات محكوم بالدرجة التي تتعاطى معها المجتمعات من ألفة ومحبة فيما بينها، العفو والتغاضي والتنازلّ تؤدلج نافذة للأمل داخل المجتمعات المتضادة في المفاهيم التي تتعاطى معها (دينيًا وثقافيًا)، تقبلّ الاختلاف بأنهُ حالة طبيعية أولجها الله سبحانهُ وتعالى في المجتمعات الإنسانية، تشاركّ ممكنآت الحياة والتعاطي معها عبر الحبّ والمودة، والنظر إلى الآخر بأنهُ

نظيرّ في الخلق إنّ لم يكنّ شقيقّ في الدين والمعتقد، دون المساسّ في معتقدّ أي شخصّ في خضمّ هذا المجتمع.

رؤية المجتمع بأنهُ تجليّ للإدارة الإلهية وعلى الفردّ أن يتقبلّ هذه الاختلافات، لكنّ أن يكونّ الاختلاف مبنيّ على تضليل المجتمع بصور مزيفة عنّ الواقع والتقليل من شأنّ الأفراد فإنّ رفضّ الواقع أمر يجبّ أن يحدثّ، فكلّ فكرة تهدمّ الفردّ هيَ فكرة هادمة للوجود الإنساني، إذ تسعى الأفكار المادية وحتى الشرائع الدينية اليهودية أو المسحية (مثلًا) الازدراء من الفرد ووجودهُ في هذا العالم، حيث ترى الشريعة اليهودية (رؤية تجريبية واقعية الحاّل) إنّ اليهود همّ شعب الله المختار والرب (الله) قد اصطفاهم دونّ غيرهم من البشرية، وهذه العلو والأنانية في الاعتقاد اليهودي ترفضّ أي سلوكّ انساني غير يهودي وترى فيّه خطيئة وأن باقّ الأمم هم (جيفة) فيما ترى المسيحية أنّ الرب (الله) تجلى في اللاهوت والناسوت ليشكلّ (يسوع)، هذا التجلي يرى في الرجل فيّ سفر (أيوب) حيوان، وأن المسيحية هيَ الأحق بالذات الإلهية، أفكار تنمّ عن العقيدة الدونية للفكر المادي والديني المسيحي فإنّ الخطيئة لها صكّ غفران يغفر الرب للعباد الذينّ يدفعون الأموال للقساوسة وأن حلقة العبادة تبدأ من الراهبّ وتنتهي فيّ كهنة الكنائس، علاقة تفضيلية ترى ما دونّ المسيحية خطيئة كبرى واثمّ.

أما الرؤية الإسلامية للأفراد جمعًا فإنّ الدين الإسلامي هوَ دين الموحديّن منذ بدء الخلق إلى يوم البعثّ العظيم، كأنّ تكنّ يهودي في زمن موسى (عليه السلام) وعملتّ بما جاء بهّ في وقتها فأنتّ مسلم وهوَ نفسّ الأمر قابلّ للقياسّ في زمنّ عيسى (عليه السلام)، فإنّ الإيمان ينقطع في فترة انتهاء بعثّ الرسلّ بعد أنَّ جرى التحريف والتدليسّ الذي طرأ على الرؤية الدينية لكل شريعة حينها، وينتهي الحكمّ بما جاء على الرسول محمد (صل الله عليه وسلم) واتباع ما دونّ ذلكّ اثمّ وخطيئة.

ماذا لو؟ يرى الإنسان أنّ الاختلاف سمة وجودية إيجابية فكلّ شخصّ يؤمن بما يراهُ مناسبًا، سوف يسقط الفردّ من السمو النفسي

إلى الدونية لأن التسليمَ فيّ مثلّ هذه الفكرة خطيئة يعاقبّ عليه الدين (الإسلامي) إنّ كانتّ تلكّ الرؤية تحكُمّ أفراد من نفسّ الدين، حيثّ أن هنالكّ محددات تحدّ من حركة الفرد الوجودية في إطار التعاليم الدينية؛ لكنّ لوّ قُلبّ السؤال في تأصيلهُ، ماذا لو؟ أنّ كلّ فردّ قادرّ على الأيمانّ بالعادات والتقاليدّ التي يرى فيها خيرّ لهُ ويرفضّ العادات الهادمة للمجتمع أو يرفضّ الفكرّ الإنساني جملةً وتفصيلّ ويعتكفّ على تطبيق التعاليمّ الالهية؟

تقبُلّ التغييرّ منّ عدمهِ نابعّ منّ ما تراهُ الذوات المتحكمة بالمجتمع مناسبًا لها، فلا تعاليمّ دينية ولا أخلاقية تحكمّ السطوة لقبلية الهمجيةّ الرعناء، تباهيّ وتفاخرّ بكلّ ما هوَ زائلّ التمتعّ بالدونية والرذيلة وارتكابّ المعاصيّ، قتلّ الأفراد بغيرّ وجه حقّ تدميرّ الشعوب والمجتمعات والقيمّ الإنسانية السامية بالفرد، تجدّ كُل من يدافع عنّ القيمّ القبلية المادية الهزيلةّ شخصّ مريضّ نفسيًا أهوجّ ومعتوهّ باحثّ عنّ مجدّ زائلّ رعونة الأفكار مستمدة من الأفراد المؤمنين بها، فإنّ كانتّ الفكرة مقدسة فهيّ ليستّ محلّ قياسّ، دونية الفكر المادي الجدليّ تتمثلّ في التناقضّ فيمنّ يدعيّ الفضيلة وهوَ مؤمنّ بالرذيلة، يُحبّ المكانة المجتمعية القائمة على قدراتّ الأفكار الشاذة، ترى في الفردّ سلعةّ رخيصة تتداولها الذوات القبلية فيّ كلّ وقتّ تّطلبها المصلحة الفردية الأنانية.

معرفة الله لا تتطلب جهدّ جهيّد يكفيّ أنّ تقفّ عند شرفة منزلكّ وتُحدقّ في السماء والشمسّ والقمر ولغيومّ والشجر والشعور بالرياحّ تفيضّ على روحكّ الزكية، حينها سوف تعلم أنّ لهذا الوجود ربّ يستحقّ أن يعبدّ حق عبادتهِ، والتسليم للفراغّ المادي محضّ هراء عقليّ نمطيّ محدود فيّ نفسه، البوحّ بهذه الأسرار الكامنة في النفسّ تنُمّ عن الخوف منّ مستقبلّ متهالكّ في المعنى والمضمون، رحلة الإنسان نحو الخطيئة شرعتّ منذ أمدّ طويلّ لكنهاّ بلغتّ أوجها عندما أغترّ الإنسان (كائنّ) الوضيع بنفسهُ وضللّ سُبلّ الخروج عن الشريعة الإلهية، كأنّ يحكم على الفرد إما أنّ يموتّ بفكرة أو يموت برصاصة.

الرصاص يخترقّ الجسد وجعلّ منهُ جثة هامدو أما الفكر يبقيّ الفرد على قيدّ الحياة لكنّ جثة لا تشعر بشيء سوى أنّ كلّ ما هوَ موجود نقيضّ متأصل في كينونة الروح المادية، اضفاء المادة على الروح أصلّ في الخلاف الوجودي، وعليه قامتّ الفكرة الهادمة لتخطيّ الإنسان معنى وجودهُ وتغليفّ هذا المعنى بكلماتّ ذاتّ بريقّ مزيف يخيلّ للأفراد بأنهُ حقيقة وجودية تعبويه تسلمّ في أنّ هذا الحكم الراسخّ في دهاليز المجتمع المظلمة، حيث يجبّ أنّ يسلمّ فيّه دون تلاعبّ أو تحريف، والحقيقة أنّ الإيمان بمثلّ تلكَّ الأفكار هوَ كأنّ يخون الفردّ المسلم الله والرسول.

أنا أعلم شعورّ الفقدّ جيدًا حيث لا ينام الإنسان ليلة خيانة شخصّ يحبهُ لكنّ ما أجهلهُ كيفّ ينام من خانّ الله وخانّ الرسول؟ مجرد التفكير في هذا الأمر يجعلّ الرعبّ يدبّ في وروحي، يكاّد ذلكّ الصوتّ أنّ لا يخرجّ من عقلي، مجنونّ من يرى خلاصّ الإنسان بيّد هؤلاء همّ لا يقدرون على الخروج من لجّة شهوة السلطة فكيفّ يستطيعون أنّ يخرجوا المجتمع من غياهبّ الظلمات، إنّ المجتمعات التي طالها الظلم والجور لسنوات تولجّ أفراد بسطاء مسالميّن لا يرغبون بخوضّ أي صراع، جُلّ أمانيهم أن ينتهي الأمر على خيرّ، مثلّ الذي يرغب بالموتّ لكنّ لا يريدّ الموت انتحارًا للفكرة في مضمونها انتحار، إذن يترتب على المجتمع ما يترتب على الطغاة لأن قوة الطغاة مستمدة من خوف العوام ومنحهم السلطة المطلقة للتشريعّ في ارتكاب الذنوب والآثام.

شمسّ الحقيقة لنّ تشرقّ والغيثّ لنّ يأتي ونور الحقّ لنّ يظهر وظلمة الجهل سوف تسود وأمطار الجور سوف تعود والفكرّ سوف يرثى ويدفنّ في المجتمعات التي سلمتّ أمرها لأرذلها، الإنسان مصدرّ الشرور يعذبّ الإنسان أخيهُ الإنسان بطريقة وحشية وغيرّ مفهومة، يستلذّ عندما يجعلّ من الأفرادّ تابعينّ خاضعينّ تحتّ ارادته، سلوكّ حيواني مثيرّ للدهشة أنّ يملئ الفراغ بآلام الضعفاء.

همّ يعرفون بذلكّ ففيّ اللحظة الأولى لتركهم قبولًا أو عنوةً فإنّ ذكراهمّ تختفي وتزول، مرضّ الشهرة هوَ أنّ يتفنّ الإنسان بأذية أخيه

الإنسان منّ أجلّ أن يعرفّ، وقتهُ قصيرّ وتأثيرهُ معدومّ، فكلّ توجه إنساني خالٌّ من الفكرّ لا يذكرّ إلا لحظيًا ولا يستساغّ منهُ فائدة، ماتّ الطغاة والجبابرة ميتة هزيلة وضعيفة لو عادوا مرة أخرى إلى الحياة وكان لهمّ الخيار بأنّ يحددوا طريقة موتهمّ لتجدهمّ تمنوا أنّ يموتوا ميتة أفضلّ من تلكّ التي ماتوا عليها، الإنسان انعزالي وانطوائي بطبعة وإنّ كان هالكّ يبحثّ عن التبجيلّ والتعظيم، كمّ هو مسكينّ هذا الإنسان الذي غلبت عليه الرغبات وأضحى شقيق الحيوانّ إنما أدنى منهُ في الوجود.

بصرّ الإنسان يرى من خلالهُ الأشياء المحيطة فيّه من أشكالّ هندسية ومبانٌ عمرانية أما البصيرة تجعلّ منهُ يرى الذوات الإنسانية كأنّ يكنّ إنسان، ضعفّ البصرّ مرضّ طبيعي يصيبّ الإنسان بسببّ الجهد أو عاملّ وراثي أما ضعف البصيرة فهوا تأصيل للجهل ودليل على عدمّ الوعي، فلا سنّ يحددّ الثانٌّ فما تعتقدهُ هو ما تراه وما تراهُ لا يعني بالضرورة أنّ تعتقدهُ، فإنّ كان الاعتقاد بعدّ أصولي وجودي رؤية حاكمة لسلوكيات الإنسانية المادية وغير المادية فإنّ النفاّذ إلى تلكّ الرؤية تكمنّ من خلال البصر لا البصيرة.

إبصارّ الوجود أي الاعتماد عليّه والانطلاق منهُ وإليه، فمنّ أبصر المجتمع وأولجّ فيّه حقائقّ بناءً على الرغبة في التغيير لنّ يقدرّ أنّ يؤصل نسقّ تبشيري، راديكالية الأفكار تجابهّ الحدث وما يترتب على الحدثّ من أحداث كأنّ تحدثّ فيّ زمانيّن مختلفين في بقعة أرضّ واحدة والتعاطيّ مع الفكرة في كلا الحالتيّن تأطير قياسّ يتمّ من خلال خوارزميات متباينة في معناهُ القيمي.

لا يخشى الإنسان ما يراهُ لكنّ يخاف من ما يراه؛ فالأول هيَ رؤية تُحددّ في إرادة الفردّ للأشياء التي تحيطّ فيّه، يرى الإنسان ما يرغبّ في رؤيتهُ كأنّ يتصور العالم وفقّ تخيلات ميتافزيقية تمثلّ السمة الغالبة في الوجود الفردي للمحيط الذي يعيشّ فيّه حيث يؤصلّ بعدّ مادي للهروب من الواقع من خلال تخيلّ واقعّ آخر مختلف في المعنى والمضمون، في لحظة يكونّ الإنسان أبله غيرّ مدركّ منغمسّ في الحياة يأتي إليه موقف

يعيدهُ إلى الواقع الذي هربّ منهُ يكتشفّ زيفّ الرؤية الأولى، تتجلى الرؤية الثانية فيّ كينونة الحقيقة التي تُذهبّ بالزيفّ الذي عاشّ فيّه الفردّ طيلة سنوات مديدة حينها الملاحظة تغدوا أكثر دقة.

انسلاخ الفرد من المجتمع فعلّ طبيعي لوجودّ عنصرّ غريب في كيان متضاّد فيّ معناه المادي، لا شيء يثيرّ الدهشة ولا الغرابة لأي فعلّ يحدثّ في المجتمع؛ عقلانية الوجود تؤدلج الفاعل الوجودي إلى فاعلّ هلامي غبر مباليّ لكلّ الأفعال السيئة أو الجيدة في خضمّ البيئة المحيطة لهُ، الرغبة في التغيير تتأصل في معنى الفرد للعودة إلى ما كانّ عليه سلفًا من رؤى وسلوكيات فردية قيمية في إطار المجتمع.

الفصل الثالث:
انهيار الوعي

تشظيّ الإنسان وتفككهُ نتيجة الإدراك حيث يسلبّ الإنسان ذاتهُ، سرابّ الفكر أنّ تكون المعادلة الوجودية خلاف وحدوي للأفكار في داخل المجتمع، الأشدّ رعبًّا من الجهل المعرفة المزيفة، أن تستنزف حياتكّ في الدفاع عنّ أفكار هادمة فيّ جوهرها بعدّ أن تكتشف إنّ أفكارك التي تسعى لغرسها في المجتمع هي أفكار خاطئة وما يسيرّ عليه المجتمع هوَ التأصيل الحقيقي للحقيقة، هذا ما تراهُ الأفكار الرافضة للفكر المجتمعي وتعتقدّ فيّه؛ بئسّ القوم إنّ كانّ أيمانهم (رغبات) واعتقادهم (شهوات).

مجرد التسليم لتلكّ الفكرة يتسرب الشكّ الباعثّ للخوف في روح المجتمع، كلّ خطيئة وفعل شرير لا يعني أنّ يكون باعثّ للشرّ ومؤصلّ لهُ في الواقع التجريبي فقد تكون الخطيئة حقيقة والشر خير مطلق، الاختلاف في الرؤية المجتمعية التي أصلتّ الرؤى عبر سلوكيات الأفراد فهمٌ يرونّ ما يعتقدون به، نفسانيًا فكرة الحبّ هيَ فكرة متخيلة تقوم على قصورّ فكريّ مُضللّ.

القياسّ في مراحلّ النضجّ المبكرّ يؤدي إلى تفتت الأفكار وتشرذمها لأنها استساغتّ الفكرة وتمّ رفدها في غيّر بيئتها مما يؤدلج فكرة الفردّ للبحثّ عن المتعة المتأصلة فيّ العزلة، سلوكّ الإنسانّ في بيئتهُ سلوكّ يتأثر طرديًا فيّ المتغيراتّ الموضوعية المادية الباعثة لتأصيل فكرّ إنسان وجودي ينمّ عن الحقيقة، الأطر القياسية هيَ أبعاد مادية فكرية للفردّ دونّ غيرهُ فهو يرى ما يعتقدهُ ويرفضّ ما لا يراهُ، محدودية الرؤية أصلتّ براثيمّ الفكرّ المادي الكامنّ في عباءتهُ التاريخية.

الأزمات عنصرّ مادي أصولي لإيلاج فكرة الوعي فيّ ذهنّ الفرد، مرحلة بناء الإنسان تبدأ عندما يتفككّ، المواقف والأحداث التي تقعّ على الفردّ تحددّ ماهية الفرد إذ تغلفّ هذا الفردّ بغطاء فكريّ حقيقي يبزغّ في أعماق روحّ الفردّ تساعدهُ هذه الرؤية على أنّ يؤصل قيمة وجودية للفراغ الهائل الذي يعيشّ فيّه، ترسيمّ فكرة الفراغّ نابعة من اللاوعي، حتى اطلاقّ لفظّ فراغ هوَ معنى خاطئ لأن الإنسان يجهلّ الفراغ فيّ معناهُ

المادي الألفاظ أذونات تؤدلج المشاعر من خلال كلمات هيَ انعكاس لسلوكّ الفرد.

ففيّ اللحظة الأولى لتفاقمّ الأفكار فيّ رأسّ الفرد تجدهُ بدأ فيّ تقبلّ كلّ شيء حولهُ طوعًا أو كرهًا، القبول لا يعني التسليم إنما هروبّ من الحقيقة والرضوخّ للكذبّ، صراعّ الصدقّ والحقّ فرديّ مع قطيع يرى في الكذب والزيفّ ملاذ لا يكتبّ لأي تجربة هادفة لإخراج الأفراد من مستنقع الشهوات والشبهات والخديعة، يشرعّ المرء مع ما يتناسبّ معه ويرفضّ ما يحققّ لهُ أكبر منفعة ناجمةّ عنّ عدمّ دراية ومعرفة في حدود العالم المادية، بسبب تضليلّ الأفكار التي اعتنقها الفردّ وساعدتّ على تقيّد حريتهُ فيّ المحيطّ الذي يعيشّ فيّه.

التمردّ على الحقيقة أمرّ مرهقّ ورفضّ الحقّ فعلّ شاّذ، أصبح الإنسان يرى أن لا نجاة لهُ إلا من خلال اتباع الأساليب الخاطئة للوصول إلى الغايات السامية (من وجهة نظر بشرية محدودة)، الذهاب إلى تلكَّ الأفكار بسبب فقدان الأمل واليأسّ بأنّ هنالكّ طريقّ يخلصّ الفرد من الهجمات الشرسة للذاتّ على الروح الإنسانية، مهما تظاهر الإنسان بالقوة والسطوة إلا أنّ نقطة الضعفّ في أعماقهُ، عدم الرضى عن حياتهُ وما تسيرّ به نحو فناء محتوم أزلي تأطر مع فكرة وجودهُ.

المحاولة لا تقتلّ إنما تؤلم ألمّ لا يطاقّ، حالة منّ انتفاء الفكرّ والتفكيرّ تدمرّ الفردّ في المجتمع شيئًا فشيئًا إلى أنّ يغدوا وعاءّ خالٌ من كلّ هدف أو معرفة أو طموح راغبّ فيّ أنّ يعيشّ ما تبقى من حياتهُ بسلامّ خيالي لنّ ينالهُ، يتآكل الفردّ من الداخل إلى أنّ يصبح مجردّ جسدّ لا شعور فيّه تجاه الحياة ومغرياتها الشرعية والغير شرعية، هنا التساؤل الأهم هل الفردّ هوَ الفرد أمّ هيَ الأيام فعلتّ ذلكّ.

تجليّات الروح المادية هدمتّ فكرة الإنسان وسحقتّ أحقيتهُ الوجودية، اللعبة نفاّذ للتسلية بهدفّ خلقّ جوّ من الراحة بعيدًا عنّ كلّ نقيضّ، لكنّ أنّ يكنّ الإنسان لعبة بيدّ كلّ فكرّ انساني ترى فيّ بؤس

الفردّ متعة والألم لذة واليأسّ سرور والضعف قوة هيَ خطيئة يعاقبّ عليها الرب (الله) والعبادّ(الأحرار)، يرضى الفردّ أنّ يفعلّ أشياء شنيعة بالفردّ الآخر ما لا يرضىّ لنفسه، هدم الفردّ دليلّ مسبقّ على هدمّ المجتمع، الحرية إذا قُيدتّ دونّ منفعة عامة خطيئة كبرى، رفضّ الذاتّ واصلاح شأنها عبرّ التسامح ومساعدة البؤساء الطريقّ الأمثلّ نحو عالم مثاليّ فيّه فكرة المساواة تسودّ.

شعور الاغتراب يؤدلج مجتمع مُشتت ضعيف، صدامّ العائلة مع الأفكار قادر أن يولج كمّ هائل من التناقض في صيرورة المجتمع، صدامات تنبع من الشعور بالتهميش والتطرف الفكري الأسري تخلق تطرف مجتمعي بالعلاقات الاجتماعية الثنائية أو الجماعية تؤثر على آلية تعاطي الأفراد مع السلوكيات المجتمعية للذوات في ظل هذا الجدل الفكري الحاّد فإن المجتمع ينهار تدريجياً إلى أن يأخذ شكل مختلف يشبه بيت العنكبوت، لا أمان ولا سلام في عالمّ يقتل القوي الضعيف فيّه بعد أن تجرد الإنسان من كل ما هوَ انساني.

يبدأ الجموع رحلة البحث عن الذات التي كان يبحث عنها الفرد ويقاتل من أجلها بشراسة متناهية الأبعاد، عند تلك اللحظة سوف يقدر الجمع ما كان يفعله الفرد لأجلهم، معرفة متأخرة جاءت بعد انهيار المجتمع وتشرذمهُ.

الندم لا يغير شيء سوى أن الألم سوف يتضاعف أضعاف ما كان عليه الألم في الوهلة الأولى، يتجزأ منهُ ضعف وتشتت وعدم معرفة أي وجهه قد يسلكها الفرد في الوجود، الدعوة للعودة الأولى للمجتمع هي دعوة محدودة لا تحدثّ في العالم مرتيّن تباعً، عندما يظهر التغيير المُفتعل (بهدف معالجة المشاكل المستعصية) أو التغيير النمطيّ (الطبيعي) الأول يمكن الوصول إليه وتغيرهُ من خلال بثّ روح الحوار فيّه أما الثاني فإن العودة إليه مستحيلة والحوار فيّه معدوم فلا يمكن أن يكون هنالكّ حوار بين الإنسان والطبيعة (رؤية مادية فكرية).

ثمنّ ذلكّ هو أن يحكم على الفرد والأفراد بالشتات لسنوات طويلة إلى أن يبدأ المجتمع الجديد بالتبدل طبيعيًا أو بشريًا ويعود إلى سابق عهدهُ وإن اختلفت العودة في جوهرها وكانت عودة رجعية لا منطقية تنُمّ عن اللاعقلانية، نهاية الزمن فيها يكون بعد استئناف الماضي (العودة الثانية للفرد في المجتمع المؤدلج) ما بين الاستئناف والعودة الثانية هنالكّ زمانين مختلفينّ ونهاية كل زمان هو بداية لزمان جديد يفنى الفرد فيه ويبدأ من جديد.

التجديد القصريّ يتمثلّ فيّ الأفكار القبلية أو العشائرية والمادية (كلّ فكر انساني)، يهدف الفرد المؤمن في تلكّ الأفكار إلى الامتناع عنّ إحداث أي تغيير يؤثر في تلكّ الأفكار منّ قريبّ أو بعيد، يتأصل التجديد في واقع المجتمع من خلال المصالح أو الغايات التي يمكنّ الوصول إليها عبر هذا التغيير دونّ مراعاة مصالح باقّي الأفراد داخل المجتمع.

تجريمّ كلّ فكرة هادفة تضرّ بمصالح أصحاب السلطة في مواطنّ سيطرتهم على الأفراد لذلكّ تجدّ أن العدول عن الأفكار القبلية في الأرياف العراقية والفرنسية تلقى نفسّ ردة الفعل من ازدراء وتنكيلّ للفئة أو الفردّ الراغبّ في التغيير من خلال السعي للتخلصّ من براثيمّ الفكر الإنساني، يظهر التأثير فيّ خطّ واحد متوازي الأبعاد الوجودية المكانية ويحددّ بفواعل ثانوية لا سيما الأفراد المعارضين للفكرة، نشأة الفرد ترى في كل فعل يعارضّ الطبيعة الفردية الفسيولوجية من خلال تحقق الأنا الذاتي وبيان تأثر وظائف أعضاء الجسد مع الواقع المتجزئ من الذاكرة التاريخية للفردّ منذ ولادته وإلى وقتّ الحدثّ.

التجديد الطبيعي يبدأ عندما يفشل الفكر الإنساني في تظافر الجهود نحو تأصيلّ تغيير وحدوي وجودي، تضليل الوعي في المجتمع والدعوة إلى الفكر الضالّ يخلقّ قناعات حتمية الاعتقاد بالفكرة مهما كانتّ تلكّ الفكرة واستمرار الأخذ بها يدفع إلى الانزواء نحو الرذائل، ديمومة هذه العملية تذهبّ بالمجتمع نحو قاعّ المادية الطبيعية.

يسودّ المجتمع العنف والقتلّ والتحايلّ والخديعة والاحتيال والكذب حتى يصبحّ هذا المجتمع مرتعّ للبؤس والألم يؤدي إلى استلابّ طبيعي عنيف يتأدلج في كينونة الفرد، تبدلّ الشخوصّ ومجيء غيرهم متمسكينّ بنفسّ الأفكار تكون الفكرة أكثر ضعف لأنها تؤصل مضامين فكر إنساني لا يستطيع أنّ يستمر بالقبولّ لفترات زمنية طويلة دون استخدام الوسائل الغير شرعية لضمان بقائهُ.

ارتطام الوعي في هذه العملية تؤدي إلى زعزعت الفكرة وتفكيكّ مضمونها الفكريّ وتفنيدّ ادعاءاتها، تجلياّت الطبيعة تأخذ الحيزّ الأكبر في ماهية الإنسان المادية، فكلّ مادة مصيرها الفناء فلا دوامّ أو استمرارية للأفعال المادية.

أدين للفكر فقد أنقذ حياتي مراتٍّ طويله من الوقوع في دهاليز الجهل والفواحشّ، عندما يفكرّ الإنسان في تفاصيّل الحياة يرى أن كلّ شيء في العالم المادي المحدود المدركّ في الذهنّ البشري لهُ وظيفة معينة، فيّ خضمّ الرؤية الغيبية فإنّ الحقيقة رمادية لا سبيلّ لها للتحققّ المادة فيّها لأنّ العوالم تتقابلّ وتجتزئ من بعضها البعضّ كأنّ يكنُّ أحدهم يلاحظ حدثّ مألوف هوَ تلاحقّ أرواح أو تخاطر رؤى شاهدها عندّما خُلق ،جنينّ في رحمّ والدتهُ يفهمّ أكثر من شيخ كبير بلغّ من العمر السبعون، فطرة الولادة أصلتّ الاعتقاد المادي وإنّ كان التأثير ناجمّ من التجربة الملموسة بالواقع التجريبي.

إعاقة القلب أشد ضراوة من إعاقة العقل حيث أنّ القلبّ مصدر الشعور والاعتقاد لأي فكرة، عُمرّ الفكرة يتحددّ بالتجربة التي خاضتها في بيئتها، ينهارّ الفردّ عندما يشعرّ بكلّ ما هوَ حولهُ من أفراد (كائنات بشرية) أو أشجار وأنهار ورياح (محددات طبيعية) أو أن يشعرّ بالجمادّ من صخرّ وحجر وطرقات (عوالم مادية)، آفة الفكرّ الشعور، بعضّ الآثار القديمة تحكيّ قصصّ وويلات عاشتها البشرية منّ سنوات طويلة وتشهدّ على تدميرّ الإنسان للإنسان، وكيفّ تجاهلّ الجمع الحقائق

الراسخة، عبادة الأوثان لا تقلّ خطورة من عبادة الذوات المادية في المجتمعات القبلية.

مهمة الدينّ تحرير الإنسان من التبعية البشرية واحقاق الحقّ بالصورة الفضلى، رفضّ الأنا الفردي والقبلي والمادي بهدف بثّ روح المحبة والتسامح رغم الاختلاف المادي أو العقائدي، فقدّ ألف الرسول محمد (عليه ألف الصلاة والسلام) بين قبائل (الأوس والخزرج) وتعايشّ مع النصارى واليهود بعدّ أخذ المواثيق والعهود، جوهر الإسلام يقوم على التعايشّ والتسامح دونّ الحاقّ الضررّ في الآخر طالما أنّ هذا الضررّ هوَ مفسدة في الرؤية الإسلامية.

الركنّ الأصيل في الدين الإسلامي والطبيعة والوجود هو الفرد، لكنّ خالفتّ الطبيعة والمادية ترسيمّ وجوديات الفردّ في عالمهُ وقامّ الإسلام على نبذّ الرقّ واستعباد الناس وتحقيق المساواة فيما بينهم (وجوديًا)، السمة المميزة في الفكر الإسلامي إنّ التميزّ بينّ الأفراد يتمثلّ في العبادة والطاعة بغضّ النظر عن اللون أو الجنس أو المكانة الاجتماعية...الخ، أنّ تكون انسان هوَ أن تكون مسلمّ والمسلم منّ سلمّ الناس من لسانهُ ويدهّ.

فيّ المجتمعات المغمورة المتأثرة بالأفكار الوجودية للفكرّ الإنساني تجدّ أنها تسعى إلى إعلاء شأنّ فردّ دونّ غيرهُ بناءً على العرق أو الجنس أو المكانة الاجتماعية وهذا ما يتنافى مع مبدأ العدالة الاجتماعية في الدين الإسلامي الشامل والجامع لكلّ الأفعال الهادفة لفعل الخير في بناةّ الفرد داخل كينونة المجتمع الإنساني.

فقدان الهدفّ والشغف والميلّ للانعزال ومقتّ كلّ ما هوَ بشري يجعلّ من الفرد عائدّ إلى الدينّ دونّ وعيّ ما يجدهُ في الدين الإسلامي (مثلًا) لا يجدهُ في الفكرّ المادي، كلّ تساؤل يستنزف روح الفرد ويقتلّ بضعّ منهُ إلى أن يكاّد أن يتآكل من فرطّ السؤال دونّ جواب واف، التسليم للغيبيات وكبحّ جموح الفكر والتساؤلات الغير منطقية تساعدّ

إيلاج الحياة مرة أخرى في فكرّ الإنسان من خلال المعنى الذي تدفقهُ في وجوده، أهمية الوجود ترتبط جدلًا في الفكرة الساعّ لتحقيها.

نفسيًا مصدرّ الوجودّ الإنساني الأصولي هوَ الشرّ القابع في أعماق النفسّ الداعية للرذيلة وعملّ الخبائث، تطهير النفسّ من كلّ تلكّ الأعمال لا تمتّ للفكر الإنساني بصلة، فإنّ كانتّ فكرة الوجود تقوم على المادة فإنّ المادة هيَ المتحكم لكنّ التميزّ في المادة ومصدر هذه المادة هوَ الهدف الأسمى، فما يدركهُ الإنسان من مادة وجودية مجتمع بشري ذوات إنسانية (مادة ملموسة) لكنّ عدمّ الإدراك يعدّ معضلة في ترشيدّ الفكرّ وايلاج الرؤية المنطقية النمطية عليه خطيئة، هنالكّ ما هوَ غير مادي لا يمكنّ الوصول إليه أو معرفته والعمل على للوصول إليه هوَ هرطقة إنسانية مثلّ إثبات ونفيّ وجود الآلهة (الله) تتأصلّ في الرؤية المادية المحدودة للفردّ فيّ مسائلة الغيبيات، الولوج إليها صعبّ وغيرّ ممكنّ فمن يقول أن الله غير موجود فقد نفىّ فكرة وجودهُ.

الغريبّ في الأمر أنّ الفكرّ الإلحادي هوَ غيرّ الحاديّ، إذ يرى الملحدون أنّ هنالكّ خالقّ ومدبر لهذا العالم لكنّ دونّ التصريح باسمه كأنّ يقول جان بول سارتر (الإنسان وجود مادي) أي أنّ الطبيعة هيَ من خلقتّ الفرد وإليه تعود، نفسّ الفكرة في الرؤية الدينية إنّ الإنسان من خلقّ الله والله لهُ الحكمّ كلهُ، لكنّ الذهاب إلى مثلّ تلكّ الفكرة الطبيعية الهدف منها كسرّ قيدّ الفكر الإنساني أي إحلال الرذيلة واتباع الشهوات وتحقيق الرغبات، كأنّ يقول الملحد أنا مؤمن بوجود ربّ (الله) لكنّ إيماني يقوم على أن أمارس كلّ شيء فطاعة الشيطان واجبه دونّ أن يشترط عليّ الإله أي شيء، وهذا خللّ أصولي مادي.

إذن مبدأ تشريع الأفكار الإلحادية ينطلق من تحقيق الرغبات كأنّ يمارس الفرد الجنس (مع المحارم وغير المحارم) بهدف اللذة المحرمة (والعياذ بالله)، أو يبرر السرقة والقتل بهدف نشوة الجنس أو السلطة، لمّ ينكرّ الإنسان وجود الله لكن أتبعّ الشهوات والذوات للخروج من كلّ ما هوَ حلال وحرام.

لو تأمل الناظرّ في الخلق والوجود والعالم بعمقّ واستشعر قوة الله وسطوته على البشرية وسلمّ أمرهُ لله في الخلوات لنآل لذت الطاعة وحلاوة الأيمان، كأنّ تنكرّ وجود الله وتصرح بالخروج من الدين هذا الإعلان قابعّ في كينونة الفردّ هوَ أنّ تسلم نفسكّ للفكر الإنساني (القبلي أو العشائري) الهادم لوجود الإنسان، إنّ الله إلَه حب وجمال يعلمنا ويرشدنا لفعلّ كلّ ما هوَ خير، الكفرّ في المفاهيم الدينية يتمثلّ في القدرة على تطبيقها ولا يطبقها الفردّ ويركنّ للقبلية تصريح بأحقية الفكر الإنساني على العلم الإلهي ألا محدود والغير متناهي هوَ الحادي نفسي وجودي.

تصحيح المسارّ للعودة الإنسانية إلى الله طاعة مطلقة بكلّ تفاصيلّ الحياة دون تحايلّ أو تغاضي من الفردّ، قد يرى البعضّ ذلكّ تطرفًا لكنّ التطرف أن تكون طاعة الأفراد (من ليس لهم في التعاليم الاسلامية شيء) هو تطرف إنساني وجودي وكفرّ مطلق في العقيدة الإسلامية لأنّ الطاعة المطلقة لله ولمنّ اختارهم الله أنّ تكون لهمّ الطاعة في الأرض (الرسول محمد صل الله عليه وسلم وولي الأمر رئيس الدولة المتبع لكتاب الله والسنة) من شروط الاستخلاف وما دون ذلكّ دونّ.

اختفاء الصوتّ القابعّ في داخلّ الروحّ هوَ إيذانّ لإعلان موت الإنسان، فمنّ تجردّ من الضمير أخذ من طباعّ البهائم، التعالّ على الناس وحبّ الذات أفكارّ مكتسبة من الطبيعة وكلّ شيء ولدّ في الطبيعة مصيرهُ الفناء، ديمومة لفكرة من روافد وجودها فإنّ كانت فكرة انسانية تسعى لتغليبّ فردّ على آخر فهيّ فكرة هادمة للوجود الإنساني لنّ تستمر فهيّ لحظية الوجود، أما إنّ كانّ مصدرّ الفكرة العلم الإلهي في سماتّ الفكرة وصفاتّ وجودها فإنّ استمرارها أمرّ قائمّ بحدّ ذاته، بالرغم أنّ تعاطيّ الأفراد تختلف وفقّ البيئة التي يعيشون فيها فإنّ إفساد البشرية من خلال عدمّ التطبيقّ الصحيح للتعاليم الإلهية.

قدسية العلم الإلهي لا يمكنّ تجاوزها لأن الخطيئة هيَ فلسفة بشرية – حياتية ترتبط في عدمّ الإدراك والمعرفة الكافية فيّ جوانب العلم الإلهي

للإنسان، وعليه قداسة الدين لا يقعّ عليها ضررّ عندما أساء استخدامها فقدّ كانت خطيئة سيدنا آدم (عليه السلام) فيّ تجاوز حدود الله (عزو جل) والقيامّ بأمور نهاهُ الله (عزو جل) عنها فقد أكل التفاحة المحرمة عليه، هذا السلوك البشري – الإنساني يرتبط بالذات الإنسانية الضعيفة أمام المجهول والرغبات.

لا يتغير الواقع الذي يعيشّ فيّه الإنسان إلا من خلال دفقّ أفكار جديدة تقوم ببناء المجتمع، عندما يتوقف الإنسان عن فعلّ أي شيء تجاه أي أمرّ في المجتمع سوف يسلمّ أمرهُ للقوى الشريرة التي تسعى إلى سلبّ أغلى ما يملكّهُ وهيَ إرادتهُ وحبهُ للحياة، تقريبّ العوالم والتطور التكنلوجي جعلتّ العالم أكثر بؤساً بدلًا من تقدمهُ وتحضرّ هذا العالم، الإنسان كائنّ حساسّ وعاطفي يتألم في اليوم آلاف المراتّ جراء واقعة مؤلمة حدثتّ في أقصى شرق الأرض أو غربها كأنّ تكنّ كارثة طبيعية أو صناعية.

القوة تقعّ بالضدّ من القيم والإنسانية المثالية الرامية لإنقاذ الفردّ الكامنّ في عالمهُ الوجودي الحقيقي أو المتُخيل، ضعفّ الإنسان ناجمّ عن سطوة الجهل والتدفقّ الهائل للمعرفة، كلما كانّ الفرد أقل معرفة ودراية عن تفاصيلّ عالمهُ أصبح كائنّ اجتماعي، لعنة الإنسان تتأصلّ في حُب الاطلاع وهيَ صفة بشرية ذميمة كأنّ يكنّ كائنّ فضولي، يشتدّ الألم عندما يدركّ الفردّ ما لا يدركهُ الآخرون.

جنون ومرضّ ووباء عضالّ يصيبّ الإنسان الذي يفكرّ فيّ كلّ شيء، حيثّ يتناوبّ عليه الصداع صباحًا ومساءً، صامتّ فيّ وسط الجموع وهنالكّ ألف حديثّ في ذهنهُ، البوحّ جريمة والصمتّ صراخ دموي في داخل رأسّ الإنسان، ألمّ فضيعّ دون ترياقّ أو مهدئات يكادّ أن يسلبّ روح الإنسان وإنّ حدثّ وماتّ مثلّ تلكّ الميتة فقدّ نالّ أمر عظيم موتّ يسيرّ يطفئ نارّ المعرفة وهيجانها، فيّ منتصفّ الليل عندما يذهب الجميع إلى النوم تبدأ حربّ التساؤلاتّ.

الإقلاع عنّ تلكّ الأفكار والعودة إلى المجتمع أمر يحبذّ حدوثهُ لكنّ ماذا لو كنُتّ أنتّ من قُدرّ لهُ أنّ ينتشلّ العالم من هذا البؤسّ؛ لكنّ كيفّ لفردّ أن يقوم بمثلّ هذا وهوَ غير قادر على التخلصّ من هذا الألم، الحكمة الإلهية تجلتّ فيّ فردّ يسعى لبثّ روح المحبة والتسامح وبناء مجتمع إنساني وفقّ التعاليم الإلهية التي أضحت منبوذة، في اللحظة التي يتخلى الفرد عنّ فكرتهُ السامية يصبح شيطان متمردّ على التعاليم الإلهية (الإسلامية) والطبيعية (المادية)، الإنسان وفكرهُ على سجاّل دائمّ لا سبيلّ للهروب منّ ذلكّ الصراع المحتوم.

الاعتراف صيغة دلالية للحقيقة القابعةّ في روحّ المجتمع فكرة الحقيقة متجذرة فيّ الأزقة القبلية المادية القولّ بها نكرًا للذاتّ، حيث ترسمّ العنفّ كتأطير قياسّ وجودي مادي للرؤى الميتافزيقية للفكر الإنساني الدونيّ وما يحملّ في طياّتهُ من تناقضات حتمية، أدلجة الحقيقة وفقّ الرؤى الإنسانية حكمة بليغّة وشرّ مطلقّ يعمل على تضليل الوعي للأفراد في الوجود المفتعلّ، وعليه فإنّ أي اعتقاد ماديّ يتركز على المادة ويرى فيها دليلّ حتمي للوجود الإنساني والإلهي فإنّ هذا الاعتقاد مضلل للفرد، إدراك المدركّ والتسليم للغيرّ مدركّ أو على أقلّ تقدير عدمّ الخوضّ فيّه مهما كانّ للعقلّ نجاعة فلا يمكنّ أنّ يكنّ لهُ تصور حقيقي تجاه أي أمرّ لم يدركهُ أو تصور وقائعّ مزيفة لا تمتّ للوجود بصفة، حيثّ أن شرط الافتراضَ يجبّ أنّ يكونّ نابع عن معرفة مسُتدركه للحقيقة، كلّ حقيقة لا تساعدّ الفرد أن يعيشّ حياة مليئة بالطمأنينة والراحة وتحدّ من صعوبات الحياة كأنّ تكنّ باعثة للخير الإنساني أو الفردي فهيّ حقيقة مزيفة نابعة من نفسّ الإنسان الخبيثة الراغبة بحبّ السلطة والجاه والتملكّ والسيطرة على الذوات.

نزوعّ الفرد على اتباع سلوكّ التخليّ عنّ كلّ شيء كانّ ذو قيمة فيّ حياتهُ هوَ دلالة على الوعيّ الباعثّ للسقوط فيّ تأصيل الوجود البشري، فلا شيء يثيرّ الفضولّ سوى أن الحياة التي كانتّ ركيكّة الفكرّ أضحى لها معنى وجودي خاصّ مُختلفّ عما كانت عليه سابقًا.

عندما تتلازمّ الرذيلة والفجور مع كينونة المجتمع، يكونّ التحايل والخديعة والفسوقّ دلالة لوجود إنسان، الحقائق والوقائع والأصول والصدقّ والكذب مبرراتّ لغايات إنسانية مثالية وجدتّ أو لمّ توجد، ترى الناس يسيرونّ نحو الفناء الدنيوي والأخروي بكلّ غرور وافتخار غير مباليّن بكلّ ما هوَ حدث أو يحدث، سوف يتجلى الصمت إلى أعماق الأحرار ويبدأ للصمتّ أزيز فيّ ذهنّ الفرد، بعدما كانّ هذا الصوت متعبّ ومؤلم يغدوا أكثر إثارة وامتاعّ.

الوقوف على ناصية الموت والسخرية على الحياة ومغرياتها وهيَ تسقط واحدة تلوى الأخرى وكأنها لم توجد، دهشة وجودية مادية ترسختّ في العالم، تخطيّ الشعور انتفاء وجود العالم أتى من الألم الذي أصابّ هذا العالم (الفرد) وما دفع بهِ إلى أنّ يكنّ عالم متُخيلّ، الرؤية الدينية تدعوا الفردّ الغيرّ قادرّ على صراعّ الأفكار المادية الخبيثة فيّ زمانّ استشرت فيّه الابتعاد وتركها وشأنها، النصح والإرشاد هوَ أعلى قمة العلم في آخر الزمانّ، فقد يقول شخصّ كلمة تُزهقّ روحهُ بسببها، لكنّ ما يهمّ أن الطبيعة الروحية للفردّ بعد تأصيلها الوجودي في حدودها السيكولوجية تأطرت ببعدّ فسيولوجي يرى في الحقائق ثابتة من وجهة نظرّ النقاّد لها.

حروب وصراعات تُزهقّ أرواح العوام، حروب مادية ليسّ للفردّ فيها صلاح أو منفعة كأنّ يكنّ الهدف منها احلال واقع مثالي للفرد ضد القوى الشريرة، إلا أنّ القوى الشريرة هي من تحدد الصراع ومتى يبدأ ومع منّ وللفردّ الطاعة المثلى لا تردد فيها، تزهُ الأرواح الزكية في طريقها للموت لتغليب القوة الشريرة في داخل الإنسان، لا شيء فيّ هذا العالم يستحقّ أنّ تُزهق روحّ فردّ لأجلهُ سوى التضحية من أجل تحقيق رفاهّ الأفراد عبر إيلاج عالم ينبذ الشرّ والخطيئة.

ارتكاب الآثام تُرقّ النفسّ الإنسانية الطيبة التي لمّ تألف مثلّ تلكّ الأفعال، عندها سوف يطغى الشعور بالذنب على كلّ فعل سيء ارتكبهُ الفردّ، الاندماج مع تلكّ الأفعال ومحاولة التصالح معها ينتج إنسان ثانٌّ

لا يعرفهُ الفردّ نفسهُ أو المجتمع، يدفعّ به شدة الصراع للانغماسّ في لجّة الشهوات نتيجة الضعف الذي يتحلى به الإنسان بالتصديّ لكلّ تلكّ الأفعال، الوحشّ الذي يصارعهُ الإنسان في داخله سوف يأتي يومًا ما ويأكلهُ إنّ لمّ يتحلى بقدرّ كافٍّ من الأيمان في أنّ العالم كناية للخير والشر.

سمو الأفكار فكريًا ناتجة عن الصراعات التي عاشها الفردّ في داخلهُ لليالّ طويلة ومريرة، بعدّ أن انتهى هذا الصراع سوف يخرجّ من وسطّ الركام شخص لا يألفهُ أحد، شديد الصلابة والمتانة وكأنهُ لمّ يرى بؤسًا في حياته منيع من كلّ فكرّ شاّذ مادي، هؤلاء هُمّ الفئة القليلة في العالم من يأملّ فيهمّ خيرًا، فقد عاشوا كلّ ما هوَ مؤلم ومتناقضّ لوحدهمّ دون أنّ يساعدهم أحد للخروج من تلكّ البقعة المظلمة في الأيام التي احتاجوا بها للآخرين، الرئفة فيّ العالم وبثّ روح التسامح وتقبلّ الإنسان على ماهيتهُ معرفة مؤدلجة للصراعات التي قدّ يخوضها فردّ آخر ضعيف ليسّ لهُ سطوة على نفسهُ.

البشرية منذّ الأزل تعاقب من يحاولّ إيقادها من سباتها، تركّ العالم ينهار ويتفككّ محاولة لبنائهُ فيّ حالّ تعذر الحال للوصول إلى قاعّ الحقيقة في ذهنّ الأفراد المنيعة والمتصدعة بفكرة (القبلية أو الشعائرية والأفكار المادية الداعية لتحرير الإنسان من العبودية وهيَ عبودية بحدّ ذاتها)، مشكلة الإنسان هيّ الأنا والاغترار بالنفسّ، فقد يرفضّ أحدهم رأيكّ لأن والدكّ فلانّ أو لأنكّ قريبّ منّ سنّ هذا الفردّ إذ يرى فيّ تقبل هذه الفكرة غطرسة وتجشمّ للفردّ.

تضاّد العقلّ نذيرّ شؤم لدخول الفردّ فيّ عتمة الحياة وفكرها الظلامي، إنّ ثقُلّ العقل أكثر من الجسد سوف يغدوا الفردّ باحثّ عن ملذات ورغبات وشهوات تشكلّ فكر مادي إنساني يذهب في الفرد نحو فنائهُ، بطئ التفكيرّ يؤدلج ضعف الاستجابة للتغيرات المحيطة حولهُ، فيما أنّ ثقلّ الجسد فعلّ طبيعي يناطّ في سلوكيات الفرد لتحديد الأطر الموضوعية تجاه أي أمرّ كانّ، سطوة العقول لها تأثير أكبر من سطوة

الأجساد، إذ إنّ المادة تتأدلج جرى تغير تصرفات الأفراد ازاء تناول الطعام فقدّ يتحول من جسد ثقيّل إلى جسدّ نحيلّ، كناية الفكر في الرؤى الغير منطقية وايلاجّ تصور منطقي كامنّ بالذات بغضّ النظر عما كانتّ عليه تلكَّ الفكرة في بيئتها وإنّ اختلفت درجة التعاطي مع الفكرة بذاتها أو في صفتها كفكرة مادية انسانية أو غير انسانية رامية لنشر الفضيلة أو الرذيلة استساغتها نابعّه من اللاوعي.

إسقاط الفكرة فيّ بيئة لا تناسبها تؤدلج كارثة إنسانية تفتكّ في المجتمعات البشرية، قوتّ الجسدّ الطعام والشرابّ (رؤية مادية)، أما قوتّ الروح هيَ الأفكار التي يسترشد فيها الفرد دروب الحياة وتعرجاتها، الأول يمكنّ أن يتخطاهُ الفردّ في حياتهُ أو يقللّ منهُ، كلما كان الجسدّ يتبعّ حمية غذائية كان أكثر نشاطّ وقوة مما يجعلّ الجسد سريع الاستجابة، فيّ حين أنّ الثاني لا يحبذّ التقليلّ من تقبلّ أو الاحتكاك* مع الأفكار الرافضّ لها الفرد تجعلّ منهُ أكثر ضعف، وعليه يجب أن يتعاطى الفرد مع الأفكار المحيطة به (المؤمن فيها) والعملّ دونّ ذلكّ وهو يتأثر بتصرفات الفردّ الذي يؤطر ضعف فيّ الاستجابة للتغيرات أو المحاولة لتخطيّ مثلّ هذه التغيرات الناجمّة عن تضادّ الفكر الإنساني.

تتأصل نهاية الإنسان فيّ الأفكار التي آمن بها ودافع عنها طيلة حياتهُ، فمن آمنّ بالخير ودعا إلى الخير ماتّ ميتة الشر، ومن بحث عن الفضيلة والعدل قُتلّ بالظلم ومن آمنّ بالمجتمع وسعى لتحريرهُ من عباءة الجهل والاضطهاد الذي يقعّ عليه ماتّ في لجّة المعرفة، تهزمنّا الأيام بطريقةً مرعبة، تتوالى الخيباتّ والهزائم مرة تلوَّى أخرى تغزو روح الفردّ تجعلّ منهُ كائنّ مؤدلجّ فيّ الخير أو الشر الكامنّ في نواة المجتمع (روح الفردّ المادية).

فيّ غيابّ الأمل تُسرقّ الحياة منّ النفوس الراغبة في تجاوزّ الحياة والتخلصّ منها بأقلّ الخسائر، أعظم الخسائر التي يتعرضّ لها الفرد في المجتمع هوَ أن يعيشّ حياة لا يرغب بها ولا يشكلّ فيها شيء سوى أن

الأيام تمضي نحو المجهولّ والعمرّ ينقضيّ، تضليلّ الأفراد من خلال احلال اعتقاد أصولي فكري مادي فيّ أن هذا هو مصيرهمّ المحتوم.

عبر ايلاجّ أفكار ضالة وترسيمّ أفكار ضعيفة وتغليفها بغلاف القوة وأن الفرد غير قادرّ على التغيير لضمان استمرار سطوة قوى الظلام المسيطرة على المجتمعات، إلا أن الأصل فيّ وجودّ مثلّ تلكّ القوى هوَ الخوف الذي يتغذى عليه المجتمعات من خرافات (قبلية عشائرية) وأساطير مادية (فكر إنساني) الخروج من هذه الأفكار والرجوع إلى الأصل العلم الإلهي (القرآن الكريم والسنة النبوية الشرية) تطبيقّ شاملّ في كلّ نواحي الحياة الملاذّ الوحيد للفردّ للنفاّذ نحو عالم أفضل.

من يسرقّ منكّ رغيفّ الخبز في الخفاء هوَ نفسّ الشخصّ الذي يعطيكّ هذا الرغيف في العلنّ، غطرسة قوى الظلام تظهرّ في المحافلّ والتجمعات الحيوانية (الانسانية)، عندما ينقاّد الأفراد نحو الأفكار بالإجبار كأنّ تكنّ أنتّ من يختار وأنتّ لم تختارّ فقد رسموا لكّ حق الحياة من خلال أفكار تضمنّ سطوة العشائرية والقبلية على الأرواح الذليلة المليئة بالكراهية تجاه النفسّ والآخر.

الوحوش التي تقاتلها في حياتكّ سوف تجعلّ منكّ وحش ضاريّ، التكييف هوَ النمط السائد في مثلّ هذه المجتمعات، يتحول الفرد من فاعل رافضّ ومناهضّ إلى فاعل مؤمن إيمانّ قطعي بأفكار يرى فيها طريق النجاة من عتمة الظلام القابع في روحهُ.

أثناء احتضار النفس قبل الموتّ الروح تتهيئ للخروج من الجسد، فيّ تلكّ اللحظة بالذاتّ سوف يمقتّ الفرد كلّ فكرة مادية اعتنقها، حينها سوف ينآّل الندمّ منهُ يكآّد أنّ يسمع صوتّ خيبة الأمل التي تعرضّ لها أهل الأرض والسماء، قلبّ مشوه وحياة بائسة مليئة بالمعاصي والرذائل وروح متعبة عآّدت خائبة، فلا الجاه أنقذ هذه الروح ولا المال محىّ الندبات وخففّ وطأة الألم، سوف يتمنى لو لمّ يوجد، شعور بائسّ يعتريه عآّر كبيرّ يطأ روح الفردّ حتى في فنائهُ.

الابتلاءات هيَ فاكهة الحياة ودرجة قياسّ الأيمان في وجودّ خالقّ عادلّ يعطي كلّ دي حقّ حقهُ فلا ظلم ولا جور يتأصلّ، الحقّ فيما سينآّل المرء من عدالة السماء (الله سبحانهُ وتعالى)، يقفّ الجميع ليشكلواّ طوابيرّ كبيرة متناهية الأبعاد لا يبصرها فيّ النظر، حينها فقطّ سوف يعلمّ الظالم أي شيء أقترف في حقّ نفسهّ، العودة إلى الحياة مرة أخرى لإصلاح كلّ شيء أفسدهُ أمر محآّل.

لو يعلمّ أهل الأرض ما يحدثّ مع أهل القبور لبكوا في الليل والنهار، لما ظلمّ أو حنثّ أو ازدرى أحدهم من الآخر، لكنّ هيَ نفسّ بشرية تدعوا للسوء وتأمر به مرارًا وتكرارًا، لا سبيل للإيمان في جسدّ كانّ للشيطان وعاءّ.

بعدّ هذه الصراعات لنّ يخرجّ الفردّ حيًا مهما حاول أن يفندّ هذه الفكرة أو يطمثها، تسلبّ منهُ حياتهُ التي اعتاد عليها ليعيشّ حياة جديدة بعيدة عن أي أمل وطموح يأكل الطعام ويشرب الشراب شأنهُ شأنّ البهائم وعاءّ فارغّ من العلم أو المعرفة جاهل ناقمّ لنفسهُ ووجودهُ، يعزوا حياتهُ بأنّ الله قد ظلمهُ (حاشى لله)، ضعف الإيمان يولج ضعف بصيرة لا يدركّ المرء الخيرّ أين يقعّ جهلّ فكري ومادي، ترياقّ تلكّ التفاهاتّ تقبعّ في الرضى النفسي وتقبلّ الواقع كما هوَ لا زيفّ فيّه.

يُهدمّ الفرد وينهضّ على بقاياهُ مجتمع هجينّ الفكر والمعتقد يرى في كل ما هو مادي هوَ حقيقي واقعي يدشنّ فيّه تأصيل وجودي فردي للفردّ والمجتمع الجديد، وجه جديد للحياة الفردية تقوم على تحطيم الحواجز والمعوقات الذاتية التي تحدّ من سلوكّ الفرد المادي (الإنساني) إشاعة الحرية المطلقة، تدليسّ الحقائق وتزيّفها من خلال نقلّ الواقع التجريبي إلى واقع مُتخيل يرى فيّه الفرد حرية مطلقة في القيام بأي عملّ عبر تخطيّ كلّ ما هو معروف باسم الحلال والحرام.

شتات فكريّ عنيف يطآّل أعماق روح الإنسان، لا يستطيع أن يميز الإنسان بين الأفكار إلا من خلال الشعور، عند القيام بأي أمر يركنّ الإنسان لسماعّ صوتّ قلبهُ حينها سوف يقرر أنّ يفعلّ ذلكّ أو يعدلّ

عنهُ، الفطرة التي ولدّ عليها الإنسان تدعوهُ للعودة إليها، بعد أنّ سقطّ الفرد في غياهبّ الخطيئة (الذنوب)، خلق الله (عزو جل) الصيرورة الزمانية من أجل أن تموت الأفكار الخاطئة بعدّ تعاقبّ الزمان عليها، كلّ فكرة ترفضها النفسّ البشرية سوف تموت مهما لبثتّ في الوجود، التغيير سمة الله في الخلق، فلا شيء دائم وقائم بذاتهُ حتى الأفكار الجيدة تتأرجح بين ماضي سوداوي وحاضر صراعي ومستقبل مأمول، ينالّ المرء ما يرجوه، منّ يهرب منّ الواقع يأتي إليه.

لا يعرف المرء لماذا يعيشّ هذه الحياة وكيف يعيشها عندما يتبع صوت عقلهُ، العقلّ مصدر الشرور ومحركها في العالم كأنّ يرى الفردّ في نفسهُ شخصّ شديد جسور مقدامّ، زيفّ الحقيقة تتجلى في تقادمّ الزمان يتحول الجسد القوي إلى جسد هزيل والعقلية الفذّة إلى عقلية مهزوزة (كناية للجنون)، ألمّ عيشّ الواقع أشدّ من ألم التقاضي عنهُ، فكرة الجنون أنّ تخالفّ الطبيعة التي حولكّ لكنّ ما هوَ أسوأ من الجنون هوَ أنّ تنصاعّ للأفكار الهادمة.

حياة الإنسان ليستّ قدرّ حتمي الوقوع فقدّ أولجّ الله في داخلّ رأس لإنسان شيء يعرف باسم (الدماغ) يحدد من خلالهُ الشكلّ الأمثل للحياة التي يرغب عيشّها، فهناكّ إرادة للفردّ قبل أنّ يكن هناك قدرّ؛ إنّ الله وضع القدر كحلّ أمثلّ لرؤية الإنسان في محيطهُ، فقد تكونّ الإرادة هيَ قدرّ من أقدارّ الله، التسليم دونّ السعي للتغير الواقع من واقع مهترئ وهزيلّ إلى واقع مثالي يؤصل حياة أمثلّ للفرد في بيئتهُ، بعد أنّ يحاربّ الضعف الذي يعتريّ تلكّ النفسّ البشرية عبر تقبلّ الضعف والعمل على ايلاجّ قوة في غياهبّ الروح الضعيفة بسبب تقلبأت الحياة وتعرجاتها التي أدلجة كينونة جديدة للفردّ أكثرّ صلابة أو ضعف، الأصل في القوة ضعف كامنّ والضعف من تفرعات القوة وأكثرها غموضّ، لا يكتشفّ الضعف إلا بعدّ أن تظهر القوة بأعلى درجاتها حينها يغدوا الضعف مثلّ ندبةً سوداء في ملامح فتاة بيضاء (مثلًا)، الفردّ من يحددّ استخدام الضعف.

استغلال الضعف قوة تبرعّ النساء في مثلّ هذا السلوك، حيث تُحجمّ قوة الرجلّ من خلال قوة الدموع (تأصيل لذلك)، قوة أي فكرة تنطلق منّ مواطن ضعف الفكرة، عندما يعلم الإنسان نقاطّ ضعفهُ لنّ يخشى أحد، تأطير القوة فكرة فلسفية وجودية تساعدّ الفرد في تجاوز العقبات ومعالجة الوهنّ الذي يعانيّ منهُ في العالم، حيثّ تعملّ العديد من الدول على اظهار نقاطّ ضعفها بهدف منح العدو فكرة سيكولوجية دلالة لعلو هذه الدولة على غيرها من الدول وأنّ التفكير على هذا النحو هوَ ضعف كامنّ في البعدّ النظري للدولة التي استشعرت مثلّ هذا الشعور (حربّ العراق على الكويت في العام1990م؛ مثال).

القراراتّ الخاطئة للفردّ في كلّ نواحي حياتهُ تقومّ بسقوطهُ في بحرّ الإنسانية ولا خلاصّ من تلكّ العاهات الوجودية إلا من خلال بناء رؤية قيمية مادية من خلال الانغماس بالذات الفردية، وصف الأشياء وتحديدها يختلفّ من فردّ لآخر، فما ترهُ حقيقة قد يكونّ كذب والعكس نتاجّ لهُ، الأفكار التي أعتنقها الآباء والأجداد ليستّ تصريح بأنها أفكارّ تدلّ على الخير والفضيلة (أفكار مادية انسانية)، فكلّ فكرة انسانية لها حدود زمانية ترتبط فيها وتجسدّ محور لتفاعلها وتأثيرها على الناس.

التشكيكّ فيّ الدينّ الخطوة الأولى لسقوط الإنسان وانهيارّ فكرة وجودهُ، يعملّ الدين على ترشيد أفكار العوام ونبذّ كلّ غلوا وتطرف (وإن كانّ ما يشاعّ هو عكسّ ذلك)، الحدود الإلهية التي وضعها الله (عزو جل) للإنسان في هذا الوجود هيَ الحلّ الأمثل لتوجيه الفرد في مجتمعهُ، تقديسّ أي فكرة مادية بدلًا من الدين تولدّ هشاشة فكرية تتأصل في اللاوعي الإنساني، الشكّ بناء فكري ماديّ وجودي يرى في الإنسان أحقية وجودية بناءً على غطرسة الأفكار أحادية التوجه.

التأويل منبعّ أصولي فكريّ مُقيدّ يقيّد الإنسان فكريًا، عندما يكونّ سبّ الدينّ وقذفهُ بأشنع التهم حرية رأي؛ أما الأفكار المادية مقدسة ولا يجوز لأي شخصّ أنّ ينتقدّ تلكّ الفكرة أو يقتربّ منها مثلّ أنّ ينتقدّ فردّ تقاليد الطاعة العمياء لشيخ القبيلة وإرادة هذا الشخص هي إرادة أفراد

القبلية (انتخاب سياسي معينّ) وإنّ كان هذا الفردّ هو سارق ومارقّ عن الدين، هنا يتجلى السقوط الأخير للإنسان في عالمهُ.

تحرير المجتمعات من عبودية الأفكار الضالة مثلّ النور الذي يخترق نافذة منيعة لسنوات تغزوا أركان الغرفة المعتمة، غرابة الشعور تفضي إلى حقائق مطلقة، معرفة ما يحيط بكّ لأول مرة دهشة وجودية في عالمّ كُنتّ تظنهٌ هلامي، البعضّ يرغب في رؤية الله منّ أجل أن يعترف فيّ وجودهُ وهوَ غير قادر على معرفة ماهيتهُ، فمن لا يعرف نفسهُ لا يمكنّ أن يعرف الله.

مجاهدة النفس على المعاصي تؤصل ماهية الإنسان الوجودية، ترابط الفرد مع ماهيتهُ وتوطيد العلاقة بينهما أصل فكرة وجودهُ، عندما يرفضّ الإنسان ماهيتهُ يشرع في نسفّ ذاتهُ، تأصيل الذات ركنّ أصيل بالاعتقاد المادي أو الغير مادي، الذوات أذونات لنافّذة الروح فكل طباع نشأة مع الفرد منذ ولادتهُ وتلازمتّ مع فكرتهُ كأنّ تكنّ فكرة فطرية لا يحاسبهُ الله عليها، لكنّ تقبل تلكّ الطباع والتسليم بها عبر الاعتياد وعدم المحاولة للتخلص منها هو خطيئة تقع في نفس الفرد وتؤثر فيّ سلوكياتهّ، حيث أنها تمثلّ منفذّ للأفكار بغضّ النظر عما كانتّ هي عليه تلك الأفكار.

الفصل الرابع:
البحثُ عنّ المعنى

تجليات الصراع في أعماق روح الإنسان تؤصل حالة من فقدان للذة الوجود تعدّ بمثابة تأصيلّ للبناء الثقافي والفكريّ للفرد، شتاتّ الأفكار تجعلّ من الإنسان خاوً من المشاعر والأحاسيس تجاه العالم المادي الوجودي والعالم المتخيلّ فيّ آن واحد، الهروب من الواقع وإيلاج واقعّ ثانً ليسّ لهُ في الرؤية التجريبية أي معنى دلالة غائية للنفاّذ من صيرورة التناقضات الحتمية القابعة في غياهبّ الواقع.

اللغة بعدّ حديّ للتفكير، يفكرّ المرء في الأشياء التي يدركها، الحوار مع الآخر لغة والنقاشات سمو للأفكار عبر اللغة، ما تدركهُ الأفكار لا تدركهُ اللغة، تدفقّ الأفكار بشكلّ هائلّ ونفادها عبر اللغة أمر عسيرّ تجدّ أحدهم صامتّ صمتّ رهيبّ إلا أنّ هذا الصمت يتحول إلى صراع عنيفّ ففي أول سؤال تجدهُ يطرح عشرة أجوبة على سؤال يبدوا للوهلة الأولى تافها، ما لا يقولهُ المرء يدركهُ.

تعظيمّ اللغة يمنح للوجود معنى، فالوجود ما تدركهُ وتستطيع أن تعلمّ معانيّ، الوجود اختلاف متجذر بينّ فردّ وآخر، فكلّ شخص يرى الوجود من زاوية مختلفة تبعًا للمعرفة المتأصلة في ذاتهُ، الخروجّ من سُبلّ المعرفة والسعي لإيلاج معنى آخر لا يعلمهُ الفرد هوَ بدعة إنسانية (مادية)، مصدر اللغة الإدراك المادي (للأشياء المحيطة في الفرد) أما فلسفة اللغة تجزئة الإدراك وتأويلهُ بما يتماشى مع الفرد ومجتمعة، إنّ أي فكرة تهدف لنقلّ ذات الفردّ من مكانّ إلى آخر بسرعة هائلة تكونّ فكرة مشوهة، الواقع واللغة على نقيضّ دائم يرومّ كلاهما لتأطير القياسّ المادي واسقاط هذا القياس على المجهول في حدود العقل.

اللغة لا تعنيّ العقل كرؤية نفسية، ما ينالّهُ العقل لا تدركهُ اللغة في تفاصيلها وممكناتها المادية، ضعف اللغة دلالة صريحة لضعف العقل، وعليه فإنّ قوة اللغة تستساغ من قوة العقل، ما يقولهُ الإنسان يشعرّ به فيّ الوعي أو اللاوعي، لذلكّ حكمة الله خلقتّ الإنسان وجعلتّ من الأيمان في القلب، القلب منبعّ الأحاسيس ما يقولهُ قلبكّ صدقهُ فإنّ

القلب هوَ المنقذّ في المسائل الروحية الغيرّ مدركه في وعي الفرد، الجوهر انعكاسّ للظاهر.

معنى الفكرة يؤخذ من عمقّ تأثير الفكرة على الإنسان، السعادة أنّ تجدّ شيء يأخذك نحو عالمّ أمثلّ وأجمل من العالم الذي تعيشّ فيّه، الخيالّ تأصيل للواقع وكناية عنهُ فما تتخيلهُ تعيشّ من أجلهُ فيّ حال ضعف القدرة على التغير، المحاولة تفضيّ لسعادة عارمة في الوجود، كلّ ما هوَ غير منطقي هوَ غيرّ عقلاني، وكلّ شيء غير عقلاني هوَ غيرّ مدرك (الغيبيات)، الغوصّ في هكذا تفصيل يولج خرقّ جسيمّ في حياة الفرد وذاتهُ، خاصةً في مسائل الحكم على الأشياء الغير عقلانية والمنطقية من منظور إنساني، إذ يجب أن يقع القياس عليها بناءً على الحدث المادي الإنساني، المادة المدركّة أو التي يمكنّ استشعار وجودها إبصار الأشياء (مثلًا) يسلمّ أن يطلق عليها الحكم بأنها عقلانية أو غير عقلانية بالرغم أنّ تلكّ الأشياء بحدّ ذاتها تختلف من مكان لآخر، فما هو غير عقلاني وغير منطقي في عالمكّ هو منطقي وعقلاني في عالمّ شخصّ ثانّ(الزمان والمكان).

تصدع العقل، من خلال البحث عن تفسيرات منطقية لأشياء غير منطقية، السبب فيها أن العقل لمّ يألفّ مثل تلكّ التناقضات، تطور الحياة وتذليل هوة التواصل بينّ الأفراد في شتى بقاع العالم أصلّ مثل تلكّ الفكرة وساعد على إيلاجها، تأثير هذه الأفكار ناجمّ من الضعف الرئوي للفرد تزامنًا مع ضعف الوعي للفرد في محيطه الداخلي (نفسيًا) أو الخارجي (البيئة الداخلية أو الخارجية)، لجّة الأفكار فيّ غطرستها وسطوتها على سلوكيات المجتمعات التي تدفع الفرد أن يتقبلّ أي فكرة في مجتمعهُ وإن كانت فكرة شريرة تهدمّ حريتهُ وتقييدهُ (براثيم الفكر القبلي)، وتبعدهُ عن التعاليم الإلهية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، ضعف الوازع الديني أصلّ مثلّ هذا القياس فيّ المجتمعات التي استشرى فيها الجهل، منح مكانة طوباوية للأفكار الهادمة أنّ تحلّ محلّ الرؤية الدينية الإسلامية الشمولية (مؤقتًا).

لذة الآثم منحت الفرد معنى في وجودهُ فقد أصبح يرى أن معاشرة النساء فخر واحتساء الخمر رجولة والتعدي على حقوق الآخرين بغير وجه حقّ قوة والتطاول على الدين الإسلامي ومقدسات هذا الدين قوة شخصية (كاريزما)،أصبحت السرقة (زيادة دخل) والاحتيال (ذكاء) والرشوة والرباء (فائدة)، عندما تتغير المسميات يعتاّد الأفراد على فعلّ الفواحشّ والمنكرات بجهلّ أو بعلم، فكلّ اسم يتغير يؤدي إلى تغيير معنى هذا الاسم الأمر الذي يجعلّ من الفرد يجتزئ هذه الأفعال بناءً على التغيرات بهدف تبريرّ تلكّ السلوكيات، يفعلّ الفرد ما يفعلهُ المجتمع ويألفهّ ويكنّ السبيل من هذه الأفعال والتصرفات الحصول على المعنى (المكانة الاجتماعية)، فلا يمكنّ أنّ تنالّ التقدير والاحترام بأخلاقك في مجتمع قائدهُ سارق وحاكمية ثملّة وأفرادهُ جهلة.

يحتسيّ الفرد في كل يوم كمّ كبير من الأفكار الخطرة في عالم انكمشّ على نفسهُ وانزوى نحو نفسهُ تدريجيًا إلى أنّ أضحى كتلة متناقضة في المعنى والمضمون، ثمالة العقلّ تدفقّ جرعة هائلة من السعادة للباحثين عن المعنى فيّ الحياة، الصحوة من تلكّ الثمالة (الأفكار المادية) تجعلّ من الإنسان يتبعّ سلوك حيواني مسعورّ يرغب في تحطيم أي شيء أمامه، نزعة عدوانية تأصيلية تشكلتّ بناءً على الخذلانّ الذي أصاب الفرد في الأفكار التي آمن بها، المعضلة لا تتأصل في الأفكار إنما تنطلق من الاعتقاد الفردي تجاه الأفكار وكيف استساغها وكيف تعامل معها طيلة تلكّ الفترة، تحرير الفكرة يؤدلج أزمة وعيّ.

الأزمات التي يقع فيها الفرد تظهر قدرّ الإيمان في داخل الفرد فكلّما كانّ تعرضهُ للأزمات كبير كانّ ايمانهُ شديد، شدة الإيمان في أي أمر نابعّ من قوة التمسكّ فيّه وبيان الحجة عليه، لو أن الإسلام كان كذبة ومحمد (صل الله عليه وسلم) لمّ يكنّ رسول من عند الله؟ كيف لكذبة أن تستمر لمدة (1400 عام) وكيف لمليار شخص أنّ يؤمنوا بهذه الكذبة، الانسلاخ من الدين وتجريمهُ هوَ لا يعني التجرد من الإيمان بقدر ما هو دلالة على ضعف الإيمان بقلب هذا الشخصّ أو ذلك، ضلال فرد في

سنّ الأربعين يدلّ على أنّ هذا الفردّ لم يكنّ ناضج أو بالأحرى لمّ يواجه في حياتهُ صدامات تؤصلّ هذا الإيمان وتشدّ من قوتهُ، أعظم الابتلاءات تطآل الأشخاصّ الأكثر إيمانا.

معنى الإنسان رؤية وجودية تظهر فيّ المنطق الذي يتبعهُ قبلّ اللغة، كلّ شيء يراهُ الفرد صلاح يطفوا على سطح الفرد (مظهرهُ)، رجاحة العقل تتمثلّ بنبذّ كلّ فكرة هادمة للإنسان فيّ وجود الإنسان، الأحرار يرونّ المعنى في تخليصّ البشرية من سيطرة الأفكار الدونية المادية (الإنسانية)، فكلّ فكرة انسانية لمّ يكنّ مصدرها الله هي فكرة تنمّ عن الرذيلة والخطيئة.

عبودية الأفكار تتأصل في استساغت تلكّ الأفكار ورفدها في المجتمعات، فكلّ فكرة تستغل الفرد وتحجمّ منهُ دون تحقيق المصلحة العامة للأفراد تكون فكرة سوداوية تؤدلج عبودية فردية تجاه الأفكار المادية، عند النظرّ إلى المادية التاريخية نجدّ أعظم الأفكار خرجت في أوقات سيآدة الجهل، مزيج الأفكار يدشنّ تخبطّ عاطفي للفردّ وجنون يدفع بالفردّ نحو الأفكار بناءً على العاطفة التجريبية التي تأصلتّ في فكرة الفردّ ووجودهُ.

المرء عبّد للأفكار التي أحبها وتعمقّ فيها، حُبّ راسخّ في الوجود أعمى البصيرة الفردية لرؤية الحقيقة، الابن يمقتّ الأشياء التي تجرحّ والدتهُ بعدّ وفاتها، بالرغم من انتفاء العلة إلا أنّ المعلول قابع فيّ روح الإنسان، إذ يرى الحقيقة بناءً على العاطفة، هيَ عبودية اختيارية بأن يختار الفردّ الدربّ الذي يسلكهُ لكنّ في نفسّ الوقت هوَ مرغمّ على البقاء فيّه دون تجاوز هذا الطريق، اتباع فكرة الآباء والأجداد هيَ فكرة صائبة في مظهرها وخاطئة في جوهرها، ليسّ كلّ ما تراهُ يراكّ، الخير الذي يؤصل الإنسان ويحدد منزعهُ الإنساني هوَ الشرّ الذي يهدمّ الإنسان ويدمرهُ.

عبودية نمطية أضرمتّ النيرانّ في غياهبّ الفرد ودهاليزهُ المظلمة، التحررّ من كلّ فكرة خاطئة هوَ تفككّ، الخوف عاملّ وحدوي يقفّ في

وجه تقدم الفردّ في المجتمع والطبيعة، الخوف دلالة للوجود القسري، التجرد من تبعية الفكر المادي الإنساني لهُ طعم أخاّذ وسعادة عارمة، من يعيشّ الحياة في الأفكار التي آمنّ بها أصبح خالدًا فيّ معنى العالم، الخلود رؤية هلامية غيرّ واقعية من خلال الرؤية المنطقية إلا أنّ المنطقّ هوَ تأصيل للأفكار الغير منطقية، ما تألفهُ قد لا تعرفهُ وما تعرفهُ قد لا تألفهُ.

الفكرّ روحّ عميقة وحيوات مديدة يعيشّها الإنسان في جسد وعالم واحد، الانسلاخ من الفردية إعلان صريح لإضافة المعنى الإنساني، فمنّ يعبدّ الله بالعقلّ لنّ يدركّ قدرة الله فيّ الوجودّ، فكلّ ما هوَ مادي انساني ينزعّ إلى الشر والتمردّ، فقدّ تمردّ إبليس (لعنة الله عليه) على ربّ العباد وعصى أمرهُ لكنهُ لم يجرؤ على الذات الإلهية مثلما تفعلّ الأفكار المادية (الالحادية أو الإنسانية «القبلية» أو أي فكرة إنسانية ترى في سلوكياتها خير مطلقّ)، الكفرّ لا يعني الإنكار هوَ تضليل وتعميقّ فكرة الباطل على الحق.

تخيّل الإنكار أسوأ من الإنكار، ما يعيشهُ الفردّ في خيالهُ أشد تأثير عليه من الواقع الذي يعيشّ فيّه، الهروب من الواقع هوَ الواقع بحدّ ذاته، التصالح مع النفسّ والتعايشّ مع أخطاء الماضي الحلّ الأمثل للعيشّ بسعادة، لا ينال المرء الأشياء الهاربّ منها، الهروب دليلّ على المحبة، يهرب الإنسان من أكثر الأشياء التي آمنّ بها وتعمقّ فيها، تخيلّ الهروب انتحار للعقل وهلاكّ عاطفي حتمي، من يحبّ سوف يمقتّ المحبوب حدّ الجنون، ما ترفضهُ يسعى إليكّ.

المعرفة مرضّ لمّ تجدّ البشرية لهُ ترياقّ منذ الأزل، كلّ فكرة آمنتّ بها وتقبلتها سوف يأتي يوم عليكّ أنّ تدفع ثمن تلكّ الفكرة صداع وشللّ عقلي مميتّ تخرجّ على شكلّ نوبات صرعّ قاتلة، قوة الفكر في تقبلّ كلّ فكرة على حدى بغضّ النظر عن الشوائب التي تشوبها، عندما تؤمن بأنّ الدين نقلّ متواتر من الرسول محمد (صل الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين تواليًا إلى يومنا هذا وتتقبلها فيّ صميم روحكّ، لنّ يجدّ العقل

منفذّ لهدم تلكّ الفكرة وإنّ انطلق بالبراهينّ المادية (الإنسانية)، رفضّ جزئي للدين هوَ رفضّ كامل في تفاصيلهُ، من يركنّ للحقائق يجدها تطفوا على السطح، الغوصّ مجازفة كبرى تظهر الضعف الفكري لأي فرد، تنالّ الظلمة من النفس أكثر من النور.

الخلاصّ منّ كلّ تلكّ التناقضات هوَ أن يتصالح المرء مع الأشياء من حولهُ وتقبل الحقائق والأكاذيب كما هيَ، إنكار الفعلّ الوجودي الذي يلجئ إليه الفردّ عندما تشتدّ وطأة المحنّ، فقد ينكرّ الإنسان عالمهُ الذي يعيشّ فيّه ويتمردّ عليه (نفسانيّا) بسبب الضعف الكامنّ في فكرهُ أو عدم امتلاكّهُ فالعوامل التي تؤطر هي فواعل القوة القابعة في كينونة الفردّ، يتحررّ الإنسان من كلّ ما هوَ واهنّ ومربكّ لوجودهُ بعد أنّ يدخلّ في صيرورة الصدمة التي تنتشلّ المرء من الواقع المتخيل إلى الواقع الفعلي التجريبي عبر اجتزاء الوجود المادي.

ثمنّ الحرية الدَنِفَ والعزلة والشَجْو المادية (الوجودية) تنالّ الأفكار من الفرد ما لا ينالهُ شيء ثانً، تموتّ المخاوف التي سيطرة على الإنسان منذّ وجودهُ فيّ أول لحظة يتحدثّ فيها عن الحقّ ويزدري الواقع الذي عاشّ فيّه وكيفّ يعيشهُ، نقدّ الواقع عملّ أخلاقي قبلّ أن يكنّ موضوعي، السمو بالنفس نحو الفضيلة واجبّ قيمي يجبّ على كلّ إنسان أن يتحلى بتلكّ البذرة فإنّ التخلي عنها يجردّ الإنسان من انسانيتهُ، قبل أن تكنّ فرد في مجتمع يجبّ أن تكون انسان رافضّ للباطل والظلم ساعً للذودّ عن الحق مهما كانّ الثمنّ.

عندما تقف فيّ وجه الظلم وتقول الحق وأنتّ تعلم أن هذا الحقّ سوف يؤدي بكّ إلى التهلكة عندما تدافع عن الضعفاء وتسعى لاسترداد حقوقهم هل ذلكّ تحرر أمّ تفككّ؟ الحقوق التي يكتسبها الإنسان منذ ولادتهُ لا تعود إليه إلا بعد موتهُ وولادته مرة أخرى، تتجلى تلكّ الفكرة عندما تموتّ الأفكار، يبزغّ الحقّ من صُلبّ الباطل، لأن الباطلّ كانّ في يومًا من الأيام حقّ لكنّ هذا الحق خُرقّ بفكرة الإنسان الباطلة في وجودهُ، حرية التعبير عبودية وليستّ حرية أنتّ حرّ أمام الملء لكنّ

أنتّ عبد لأفكارك التي لازمت نشأتك من عادات وتقاليد قبلية وموروث إنساني خاطئ.

الإفراط فيّ العيش يولدّ استلاب روحي واغتراب مادي في وسط الجموع، انقاّذ الذات والعقل هوَ الهدف الأسمى لنجاة الجسد (المادة) من الفساد الذي يعتريّ العالم والأخطار الفكرية الناجمةّ عن الفكر الإنساني المشوه، خراب العالم فكرة مؤدلجّة (شيطانية) تسعى لتغييبّ الذوات عن أهدافها الأساسية في الوجود، هذه الحالة الاستثنائية الحلّ الأمثلّ للعيشّ بأمان بعيدّا عن القبلية والفكر والموروث المادي (الإنساني) الهادم للإنسان وبنائهُ.

الجلوس على أريكة مهترئة في منتصف الليل وتأمل الكون وما فيّه من إعجاز (قمر، نجوم، غيوم...الخ) التحديقّ بعذوبة الكون ودقة وجودهُ، استشعار الوجود فيّ نسيمّ الرياح الباردّ في فصلّ الشتاء، رؤية الأشجار كيف تكيفتّ في هذا العالم وآمنتّ في هذا العالم بأنّ لهُ خالق دبرّ لها معالم وجودهاّ كأنّ تقطعّ (ألف شجرة) وتنمو (مائة ألف أخرى)، يموت فردّ في الحيّ الذي أعيشّ فيّه ويولد عشرة أطفال بدلًا عنهُ.

رسائل من وحيّ الإله لا يبصرها من أنغمس فيّ لجّة الحياة، ادراكّ مثلّ هذه الأشياء كفيلّ أن يمنحّ للحياة معنى وجوديّ شديد الصلابة لا تكسرهُ الأزمات وتقلبات الحياة في كينونتها، تعمل على سلخّ الإنسان من ذاتهُ والذهاب فيّه نحو فضاء أرحب من الذي يعيشّ فيّه، أصلّ الوجود الإنسان فإنّ استخلف فكرة وجودهُ بفكرة مادية إنسانية أضحت تلكّ الفكرة باعثة للمعنى الذي ينمّ عن اللذة المؤقتة سرعانّ ما يغدوا الفردّ تائه في عالم متراميّ الأبعاد يرى في نفسهُ كائنّ تافهّ لا يعرف ما يريد وما السببّ من وجودهُ، علة الوجود ترسيمّ لمعلول الحياة وما تحملّ في طياتها من بؤس وظلم واضطهاد إنساني (بين الأفراد).

ديناميكية الواقعّ تضعّ الواقع في محلّ القياس لبيان التجربة التي خاضها الإنسان على مرّ العصور بعيدًا عن اتباع التعاليم الإلهية

(حرفيّه) دون تحريف أو تدليسّ أو تأويل أو تعطيل أو تكييف، أي أن مسألة وجودّ الله يجبّ أن تثبتّ ما أثبتهُ الله لنفسه دون سواه.

رهابّ الفكر أولج حرية زائفة أغرقت الفردّ فيّ عالمّ هلامي وجودي، تحطيم الحواجز متعة عارمة تصيب أعماق الإنسان، التحررّ من المخاوف القابعة في غياهبّ الروح تؤدلج إنسان مختلف في الفكر والسلوكّ، مجردّ تخيُلّ الفردّ أنه متحررّ من مخاوفهُ سوف تجدهُ مبدع في عالمهُ الذي يعيشّ فيّه، الخوف يكبحّ جموح الإنسان أكثر من أي شيء آخر.

جدلًا، السعادة نبّذ مسُبقّ للمعرفة، الانسلاخ من المعرفة والانغماسّ في الجهل يؤدلج معنى وجودي خاص للأفراد والفرد في المجتمع، خاصةً فيّ المجتمعات التي تؤمن بأنّ الأفكار تستمدّ من العقل وهوَ من يحكمّ فيها للولوج لنقاط الضعف الكامنة في كينونة المجتمع ومعالجتها، وإنّ كانتّ تلكّ الأفكار الهادفة للنهوضّ في المجتمع لمّ تخرجّ من دلالة التفكير النمطيّ الفرديّ إلى المجتمع، فإنّ مجردّ التفكير في فعلّ الخير وتخليصّ الفردّ من المادية الإنسانية الضالة يجعلّ من الإنسان الأكثر بؤسًا وسعادة يضفيّ معنى لحياة الإنسان في عالمه الرمادي.

صدامّ الأفكار الذاتية تؤدلج فردّ ضعيفّ الفكر والمعتقدّ غيرّ مدركّ لماهيتهُ فيّ المجتمع الذي يعيشّ فيّه، لحظة اكتشاف الوعي تؤصل صدمة وجودية (إنسانية) تدفع الفردّ نحو الانزواء إلى غياهبّ الظلمة، كلّما كانّ الإيمان بالأفكار المادية كبير جدًا يؤدي ذلكّ إلى انكار صريح للفكرة في جوهرها.

ينالّ الفضول من الإنسان أكثر من أيّ شيء آخر، حُبّ المعرفة والاطلاع على كلّ شيء محيط فيّ الفردّ هلاكّ حتميّ لهُ، العودة للذاتية أمرّ مستحيلّ؛ صراعّ عنيفّ (الذاتية والمادية) في روحّ الإنسان يقتلهّ مرارًا وتكرارًا الصمتّ أقسى تجليات الروح التي تؤطر الألم وتدفقهُ في ثنايا الروح.

يغفر الإله (الله) للجميع إلا الصامتين لا غفرانّ لهم، فكرة راسخة في الأزل يعاقبّ الله (سبحانهُ وتعالى) عبادهُ منّ لهم علمّ ودراية بما يحدثّ، الجهل راحة عارمة ومتعة لا يعلمّ قدرها إلا من فقدها، الإنسان بطبعهُ لا يقدرّ أي شيء يحملهُ، الخسارة هيَ الفعل الأول لتأصيل قيمة أي شيء حوله، الرياء والتملقّ والكذب والتحايلّ صفاتّ لازمتّ الفرد في سلوكياتهُ داخل المجتمع.

الإنسان فكرة والأفكار لا تموت؛ الهدف الأسمى لأيّ فردّ في أي مجتمع يعيشّ فيّه يجبّ أنّ يكنّ باعثّ للخير، الأفعال تُحرر الإنسان وتخففّ وطأة الذنب الذي يلازمّ وجودهُ، قمة العارّ أن يرىّ الإنسان هلاكّ شقيقة في الدينّ أو نظيرهُ في الخلق يعانيّ ويتألم ويبقى صامتّ جراء أيّ ظلم يقعّ على الآخر، قبلّ أنّ تكونّ متدينّ يجبّ أنّ تكون إنسان، قبلّ أنّ تؤمن بالموروث القبلي والفكري عليكّ أنّ ترىّ نتاجّ تلكّ الأفكار على الأفراد.

الدروب عسيرة والطريق طويل والخلاص صعبّ المنالّ، الجبال الراسية والمبانيّ العالية والصروح الشامخة، أوجدها الإنسان قبلّ أنّ يعرف كلمة (مستحيل)، إنّ الله في عون العبدّ طالماّ أنّ العبدّ في عونّ أخيه، أرحم أشفق أغفر (خطايا) سامح وتصالح مع نفسك وتغاضى وعشّ حياتك بعيدًا عنّ الأنا والمصلحة الفردية، كُنّ مصدرّ للسعادة داعً لتحرير الذاتّ، تكنّ على أيّ ملة فأنتّ الصواب وما يتجلى من تصرفاتّ تنمّ عن السمو بالفردّ وتؤصل وجودهُ، ما لا ينقضّ الوجود الفردي لا يقفّ بالضدّ من الدينّ وما تنكرهُ القبلية في المسائل التي تجسدّ كمعوقّ للدينّ فهيّ فكرة ظالمة، نسف الأفكار المادية والإنسانية الحلّ الأمثلّ للخروج من مأزقّ الإنسانية.

خاتمة:

من عاشّ بلا فكرةٌ ماتّ بلاء خطيئة؛ إدراك الأفكار واستشعار وجودها دليلّ حتمي على الحجة التي تقعّ على الإنسان في عالمهُ، التجرد منّ غلو الأفكار يدشنّ عالمّ أقلّ ألمّ وتصدعٌ، عالمّ غير منطقي وغير عادل وجودهُ دلاله على الشرّ إذ يجب أنَّ ينسلخ الإنسان من الأفكار الضالة التي هدمتّ فكرة وجودهُ، ثمنّ الكلمة روحّ وآلاف الحيوات، سيادة الجهل نتيجة مسبقّة لضعف الفكر والوعي الفردي العلمي أو الديني، الإنسان والأفكار على سجالّ دائم.

تحرر الإنسان من قيود المجتمعات هوَ تفكك في عمقّ روح الإنسان، نداء الحقيقة فيّ تغليبّ الفكر الأخلاقي عبر الأطر التنظيمية الوجودية في داخلّ المجتمعات المنغمسة في لجّة الشهوات والمحرمات لإيلاج فردّ داعٍ للخير وباعثّ لهُ، تحرر الإنسان في كلّ أفكارهُ يؤصل شرّ مطلق وجودي يساعد على هدم الحضارة الإنسانية إنّ لمّ يتمّ تقييدّ تلكّ الحرية لا سيما أنّ هكذا حريات هيَ حرية مزيفة (مُتخيلة) فيّ أتون الأفكار.

الله في روحّ الإنسان (كناية عن الضمير)، من يرى الله لم يراهُ لكنّ استشعرّ وجود الله في داخلهُ، القلب محركّ الفردّ في الوجود أجمع، كلمة واحدة تغير العالم من عالم سوداوي إلى عالم مثالي أخلاقي، قوة الكلمات لا توازي أي شيء آخر، الملاحظة جزء تفصيلي فيّ رؤية العالم والفرد وما يحكمهُ من تفاصيلّ تؤطر البعدّ القيمي والثقافي للإنسان.

سيرة ذاتية :

عماد علي حمد كاتب وروائي عراقي من مواليد الرابع من مارس العام (1996م)، حاصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية جامعة تكريت سنة(2019م).

مشاركّ في ملتقى الإبداع الطلابي الحادي والعشرون في دولة الإمارات العربية المتحدة (جامعة العين للعلوم والتكنلوجيا) الموسوم بعنوان (ريادة الأعمال)، مع الأب والمربي والسند من بعد الله (سبحانهُ وتعالى) الأستاذ الدكتور (أ.د مرتضى أحمد خضر)، تناولت الدراسة تأثير العامل القبلي على سلوك الناخب، بهدف بيان معالم القبلية وكيف أرستّ وأدلجة جوانب مظلمة للديمقراطية في ظل الانتخابات البرلمانية العراقية للعام 2018م.

حاصلّ على درجة الماجستير في العلوم السياسية_فكر سياسي جامعة تكريت سنة (2022م)، مشروع الماجستير تناولّ، الجدل الديني اليهودي والصهيوني حول مشروعية وأحقية قيام الكيان الصهيوني بين الفرق الصهيونية واليهودية، حيث أظهرت نصوص التوراة أنّ دولة «اسرائيل» هيّ دولة كافره لا وجود لها في الواقع، إنما فقط في أذهان اليهود المتدينين.

-

مؤلفات أخرى للكاتب:

كتب في الفكر السياسي الصهيوني، **هيَ:**

1- فلسفة قيام الدولة الإسرائيلية الحركات اليهودية والصهيونية، صادر عن دار العربي للنشر والتوزيع (**جمهورية مصر العربية**).
2- الإرهاب اليهودي والصهيوني في الفكر الإسرائيلي: مأزق إدارة التنوع، صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (**الجزائر**).
3- إدارة المخاطر في الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر: رؤية استشرافية، صادر عن دار تفاصيل للنشر والتوزيع (**جمهورية مصر العربية**).
4- الأصولية اليهودية والأصولية الصهيونية: عقيدة التدبير الإلهية... جدلية رؤية الميسيا، صادر عن دار تفاصيل للنشر والتوزيع (**جمهورية مصر العربية**).
5- مخطوطات تقسيم الشرق الأوسط من المنظور الأصولي الماسوني: رؤية فكرية معاصرة في نبوءة اشعياء، صادر عن دار الراوي للنشر والتوزيع (**جمهورية مصر العربية**).

الكتب الفلسفية والأدبية، هيَ:

1- الانسلاخ من الذات: رواية في فلسفة الدين والمنطق، صادرة عن دار Dar Elkitab Elmouassir Aissani (**الجزائر**) .
2- رواية: (صكوك الخطيئة)، صادر عن دار الإبداع للطباعة والنشر (**العراق**) .
3- رواية: (حقيقة الإثم)، صادر عن دار الراية للطباعة والنشر (**جمهورية مصر العربية**).
4- كتاب: الإنسان تحرر أمّ تفككّ، صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (**الجزائر**) .

فهرس المحتويات

مقدمة 7
الجزء الأول: الذاتية (تأرجح بين القمة والقاع)..... 8
الفصل الأول: ولادة الفرد..... 11
الفصل الثاني: نتاج البيئة 27
الفصل الثالث: المحيط الداخلي للفرد 43
الفصل الرابع: اكتساب الوعي..... 57
الجزء الثاني: المادية (صدمة الوعي) 69
الفصل الأول: رفض الواقع 71
الفصل الثاني: تجديد الواقع 85
الفصل الثالث: انهيار الوعي 99
الفصل الرابع: البحثّ عنّ المعنى..... 119
خاتمة : 130
سيرة ذاتية : 131
مؤلفات أخرى للكاتب: 132

تم بفضل الله